دعوة نبي الله
عيسى عليه السلام إلى التوحيد
وفق التوراة والإنـجيل

دعوة نبي الله

عيسى عليه السلام

إلى التوحيد

وفق التوراة والإنجيل

د . شاكر توفيق العاروري

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2011/9/3648)

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم الدولي: 978.9957.88.044.6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن مما أوجب الله تبارك وتعالى على الناس الإيمان به وتوحيده والاستسلام له والانقياد لأوامره. فأرسل الرسل ليعلموا الناس كل ما يحب، وأوجب على أتباع رسله وأنبيائه الإيمان بجميع رسله وما أنزل إليهم قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

اعلم وفقنا الله وإياك أن كل الأنبياء والمرسلين جاءوا إلى الناس بدعوة التوحيد وهي (شهادة أن لا إله إلا الله) وقضت أعمارهم في دعوة الناس إليه حتى خلفت خلوف ضيعت منار الأنبياء ودعوتهم. وما زال أكثر أتباع الأنبياء ناعيون طريق أنبيائهم إلى مبعث نبيا محمد ﷺ.

فوجب علينا معشر أهل الإسلام والتوحيد أتباع محمد ﷺ أن نبين لغيرنا من أهل الكتاب وسائر الأمم حقيقة هذه الدعوة المباركة؛ وأنها غاية الأنبياء وسبيل الأتباع الأنقياء وأنها دعوة نبي الله عيسى عليه السلام صنوا إخوانه المرسلين الأصفياء صلوات الله عليهم، كما قال الله تبارك

وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: 36].

وقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: 2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25]، وغيرها من النصوص البينة الظاهرة في كتاب الله تبارك وتعالى.

ولما لم يكن أهل الكتاب أتباع نبي الله عيسى عليه السلام لا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ولا بما بلّغه الناس من مقام التوحد والشريعة على السواء؛ لزم بيان الركنين الأصيلين في هذا الموضوع؛ أعني حقيقة التوحيد ونبوة محمد ﷺ كما دعى إليها وبيّنها نبي الله عيسى عليه السلام.

ليظهر للعموم أن غاية الأنبياء واحدة؛ وهي توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته، ثم بيان أن نبينا محمد ﷺ هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل.

ولما لم يكن أهل الكتاب يرضون بالتدليل على ذينك الأصلين من القرآن رأيت إلزامهم بكتابهم؛ وأن نجعل العمدة والحجة عليهم بما هم يؤمنون به ليكون مدعاة لهم للاستجابة وسببا للمسارعة إلى الإيمان بأنه لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله، والتدليل من كتابهم على أن محمداً رسول الله.

كما وأني سأعرض مواضع الإشكال عندهم وأجيب عنها؛ معيناً لهم على فهم ما بين أيديهم من كتاب بتفسيره من عين كتابهم راجياً من الله التوفيق والسداد.

دعوة نبي الله عيسى عليه السلام

إن من جوّل نظره في الإنجيل يرى أنه قد حوى قصصاً كثيرة وتفاصيل لا علاقة لها بها يحيى الناس بتعاليم الوحي والأوامر الربانية؛ فرأيت تجاوز تلك القصص وأن أبني على ثلاثة أثافي؛ اثنان ذكرتهما وأضيف لها ثالث لأهميته وبها أبدأ على الاختصار.

الركن الأول

الشريعة في دعوة نبي الله عيسى عليه السلام

إن المراد بالشريعة هي الأحكام الربانية والأمور التعبدية التي يتقرب بها العبد إلى الله تبارك وتعالى وفق ما أتى به الرسل عليهم السلام عن الله عز وجل.

لقد اختصر نبي الله عيسى عليه السلام موضوع الشريعة بعبارة واحدة كما جاء في متى (5/ 17): (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل).

وفي نص نسخة العربية المشتركة: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء: ما جئت لأبطل؛ بل لأكمل).

وفي النسخة الكاثوليكية: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأبطل؛ بل لأكمل).

وفي نسخة الحياة: (لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء؛ ما جئت لألغي بل لأكمل).

إن هذا النص بكل ألفاظ ترجمته يدور في رحى واحدة، هي أن الشريعة ماضية في بني إسرائيل وفي أتباع عيسى عليه السلام إلا ما استثني من أحكام بنص ظاهر لا متوهم.

إن هذا الأمر لا يحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح، ولا استدراك واعتراض على بولس وكلامه إذ ليس هذا موضعه.

من المعلوم أن الذي أوحى بالعهد القديم إلى نبي الله موسى عليه السلام هو الذي أوحى بالعهد الجديد ونزّله على نبيه عيسى عليه السلام، وهو الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى. وقد وصف الله تبارك وتعالى ما نزل على نبيه موسى عليه السلام بالنور فقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91].

لكن هذا النور نالت منه الأيادي الظالمة وأخرجت كثيراً منه عن مقاصده، وأخفت كثيراً من معالمه راغبة عن الحق وصفائه، بيد أن تلك المحاولات في تغير الحق باء أكثرها بالفشل وبقيت أصول معالم الحق وأنواره مضيئة السبيل لكل من أراد الهداية واتباع السبيل القويم ومن ذلك ما قصدت بيانه في مصنفي هذا من التدليل على وحدانية الله وتبارك وتعالى وصفاته العلية ونبوة عيسى عليه السلام وخاتم النبيين محمد ﷺ؛ ونبدأ البيان بتقعيد أساساته وذكر تفصيلاته، وقد جعلت لكل قاعدة دليلاً ظاهراً من كتابهم:

إن الله واحد لا شريك له ليس معه آلهة أخرى ولا إله سواه كما في سفر التثنية (32/ 39): (انظروا الآن؛ أنا أنا هو وليس إله معي). وفي نسخة الحياة (إني أنا هو وليس إله آخر معي).

وقال في صموئيل الثاني (7/ 22): (لذلك قد عظمت أيها الرب الإله وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا).

وفي نسخة العربية المشتركة: (فما أعظمك أيها الرب الإله، أنت لا مثيل لم ولا إله سواك كما سمعنا بآذاننا).

وكذا في النسخ الأخرى ما عدا البولصية.

وقال في مرقس (12/ 28): (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل * فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل * الرب إلهنا رب واحد * وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك)(1).

(1) وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله في دعوة نبي الله عيسى عليه السلام.

القاعدة الثانية في حق الله تعالى

لقد جاء في نصوص كثيرة ما يدل ويبين أن الإله الحق أزلي أوليٌّ وأنه لا يفنى ولا يموت وأنه لا يمكن أن يراه أحد في هذه الدنيا الفانية.

جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (1/ 9): (فللملك الأزلي؛ الله الواحد غير المنظور وغير الفاني، الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين).

وفي نسخة الفانديك: (وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور).

وفي نسخة العربية المشتركة: (لملك الدهور الإله الخالد غير المنظور، كل إكرام ومجد إلى أبد الآبدين).

ومثلها النسخة الكاثوليكية.

إن غرضنا من ذكر هذا النص بيان ما جاء منطوقاً ظاهراً؛ أن الإله لا يفنى ولا يموت ولا يجوز نسبة الفناء له تحت أي ذريعة ودعوى.

الثانية: أنه غير منظور وأنه لم يره أحد ولا يمكن لأحد أن يراه في هذه الدنيا؛ وهذا كما جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (6/ 16) (الذي وحده لا فناء له، الساكن في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أي إنسان ولا يقدر أن يراه).

وفي نسخة الفانديك: (الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية).

أما العربية المشتركة فاكتفت بـ (له وحده الخلود) ولم تذكر غيرها لكنها ذكرت في نفس الرسالة (18/ 16) (ما من أحد رأى الله).

وفي النسخة الكاثوليكية (6/ 16): (الذي له وحده الخلود ومسكنه لا يقترب منه وهو الذي لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه، له الإكرام والعزة الأبدية).

وفي نسخة الحياة: (الذي وحده لا فناء له، الساكن في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أي إنسان ولا يقدر أن يراه، له الكرامة والقدرة الأبدية).

قلت: يظهر في هذه النصوص معالم عظمة الله تبارك وتعالى نذكرها مجملة وفق الترجمات المتعددة للفقرة الواحدة من نفس الرسالة:

1 ـ إن الله لا يفنى.

2 ـ لم يره إنسان.

3 ـ لا يقدر أن يراه إنسان.

4 ـ أنه لا يموت وله صفة عدم الموت[1].

(1) فإن قيل لماذا لم تذكر ما جاء في النسخة الكاثوليكية (1/ 18) من إنجيل يوحنا (إن الله ما رآه أحد قط الابن الوحيد في حضن الأب هو الذي أخبر عنه)

قلت: قبل الجواب على هذا الموطن لا بد من بيان تعدد المعاني في الترجمات لهذه الفقرة؛ فقد جاء في نسخة الفانديك: (الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبّر) وفي نسخة الحياة: (ما من أحد رأى الله قط ولكن الابن الوحيد في حضن الأب هو الذي كشف عنه) وفي نسخة العربية المشتركة (ما من أحد رأى الله) هكذا فقط وليس هناك ذكر للابن ولا حضن الأب، وكذا في النسخة البوليصية (الله لم يره أحد قط). =

القاعدة الثالثة في حق الله تعالى

إن من جملة هذه القواعد أن الإله عند بني إسرائيل إله محتجب عن خلقه كما جاء في أشعيا (45/ 15): (حقا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص).

وفي نسخة العربية المشتركة: (أنت حقا إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص).

وفي نسخة نسخة الحياة: (حقا أنت هو إله يحجب نفسه إله إسرائيل المخلص).

هذه النصوص كلها محذوفة وساقطة من الترجمة والنسخة البولصية.

إن هذه القاعدة تنص على أن إله إسرائيل إله محتجب عن خلقه فلا يرونه ولا يظهر عليهم وسبب ذلك يظهر في القاعدة التالية:

= ثانياً: إذا أنعمت النظر في الفقرة السابقة رأيت أن الابن منفصل عن الأب وأن الابن في حضن الأب وليس الأب في حضن نفسه، إذ هذا المعنى لا يتصور أبداً، وبهذه الإطلالة السريعة والوقفة اليسيرة يظهر لك بطلان القول أن يسوع هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ثالثاً: ليس في النص أن الابن رأى الأب؛ بل غاية ما في الأمر هو توهم الرؤيا لحملهم أن الابن في حضن الأب على الحقيقة المحسوسة، وحقيقة المعنى في هذا الموضع بل كل المواضع المشابهة أن الابن محفوف برعاية الأب ونصرته وحمايته؛ وعليه فلا يكون هناك معنى لاعتراض المعترض.

القاعدة الرابعة في حق الله تعالى

لما خاطب الله تبارك وتعالى نبيه موسى وكلمه قال كما في الخروج (33/ 20): (وقال: لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش).

وفي نسخة الكاثوليك: (وقال: أما وجهي فلا تستطيع أن تراه لأنه لا يراني الإنسان ويحيا).

وفي نسخة الحياة في ترجمة هذه الفقرة (وقال: أما وجهي فلا تقدر أن تراه لأن الذي يراني لا يعيش).

هذا النص ساقط أو محذوف من النسخة البولصية.

إن هذا النص يدل على أمور:

الأول: أن الإنسان في هذه الدنيا لا يمكن له أنْ يرى الله تعالى بعيني رأسه.

الثاني: أن الموت مكتوب على كل من يرى الله علانية في هذه الدنيا.

الثالث: إن كل من يدعي رؤية الله بعينيه في الدنيا فهو كاذب.

القاعدة الخامسة في حق الله تعالى

لقد كان من تعاليم الناموس القديم نهي الناس عن تشبيه الله تعالى بخلقه كما جاء في أشعيا (40/ 25) (فبمن تشبهونني فأساويه؟ يقول القدوس).

في نسخة العربية المشتركة: (لذلك يقول القدوس: بمن تشبهونني وتعادلونني).

في النسخة الكاثوليكية: (فبمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس).

وفي نسخة الحياة: (فبمن تقارونني فأكون نظيره؟ يقول القدوس).

هذا ساقط من النسخة البولصية.

هذه الفقرات تدل على أمور:

الأول: لا يجوز للخلق أن يشبهوا الله تعالى بخلقه، لا بذاته ولا بصفاته، ويجب الإيمان بأن الإله لا يأكل ولا يشرب ولا يموت، ولا يعجز.

الثاني: هناك مفارقة بين الخالق والمخلوق، إذ لا يجوز القول أن مخلوقاً أو بشراً يساوي الله في شيء ويخالفه في شيء آخر؛ أو أن جزء من المخلوق فيه صفة أو صفات الخالق على المساواة الحقيقية.

الثالث: لا يجوز مقارنة الخالق بالمخلوق لا في الصفات ولا في الذات ولا في الأفعال.

وهذا يدل عليه مواضع من العهد القديم ومن ذلك ما جاء في:

أشعيا (46/ 5): (بمن تشبهونني وتمثلونني لنتشابه).

وفي نسخة العربية المشتركة: (بمن تشبهونني وتعادلونني؟ وبمن تمثلونني فنتشابه).

وفي النسخة الكاثوليكية: (بمن تشبهونني وتعادلونني بمن تقاربونني فنتشابه).

وفي نسخة الحياة: (بمن تشبهونني وتعادلونني وتقارنونني حتى نكون متماثلين).

سقط هذا النص من النسخة البولصية.

القاعدة السادسة في حق الله تعالى

إن الله تبارك وتعالى قد أوحى إلى جميع أنبيائه أن لا أحد له العظمة والكبرياء والتفرد بالإلوهية سواه، وأنه سبحانه لا مثل له تبارك وتعالى ولا مثيل كما جاء في المزامير (77/ 13): (إي إله عظيم مثل الله).

وقد أسقط هذا النص من النسخة العربية والنسخة الكاثوليكية والنسخة البولصية؛ أما في نسخة الحياة هكذا: (فأي إله عظيم مثل الله).

وقد أقر أهل التوحيد من أتباع نبي الله موسى عليه السلام بهذا كما جاء في سفر الملوك الأول (8/ 23): (وقال أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل).

وفي نسخة العربية المشتركة: (لا إله مثلك في السماء ولا في الأرض).

وفي نسخة الحياة: (ليس نظير لك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل).

وقد جاء مثل هذا المعنى في أخبار الأيام الثانية (6/ 14): (وقال: أيها الأب إله إسرائيل لا إله مثلك في السماء والأرض حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم).

القاعدة السابعة في حق الله تعالى

النهي عن الشرك

لقد حذر الله تبارك وتعالى أنبيائه وجميع الأمم من أن يشركوا به شيئاً كما قال في التثنية (7/ 16): (ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك).

وجاء في ترجمة النسخة العربية المشتركة: (ولا تعبد آلهتهم ففي ذلك شرك لهلاكك).

وفي نسخة الحياة: (ولا تعبدوا آلهتهم لأن ذلك شرك لكم).

واعلم أن نبي الله عيسى عليه السلام أصّل أصولاً لكل من له عقل وسمع؛ ولكل من يريد طريق الهداية مؤكداً ومبيناً أن الله واحد وأنه العظيم المتعال وأن لا أحد أعظم منه؛ وإني أبين ذلك بقواعد وفق ما جاء في العهد الجديد التي تدخل في هذا المعنى فنقول بتوفيق الله:

جاء في يوحنا (28/14): (سمعتم إني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم لو كنتم تحبونني تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب لأن أبي أعظم مني).

وفي ترجمة الفانديك: (لأن أبي أعظم مني).

إن هذا التمايز الذي يقرره نبي الله عيسى بينه وبين خالقه ظاهر بقوله: (لأن أبي أعظم مني) بل فيه بيان أنه عبد من عباد الله أنعم عليه، وأن يسوع عليه السلام يعتريه من ما يعتريهم من النقص والسهو حتى قال جواباً لرئيس كما في لوقا (18/18-20): (وسأله رئيس قائلاً أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية * فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله).

وهذا يعني أن عيسى عليه السلام ينهى الناس أن يعطوه ما لا يكون إلا لله الواحد ونهاهم أن يرفعوه فوق منزلته وقد تكرر هذا في مرقس (18/10) وفي متى (17/19).

القاعدة الثامنة

لقد أعلن نبي الله عيسى عليه السلام أنه لا يعلم ولا يعمل أشياء من نفسه بل الذي يُعلمه هو الله تبارك وتعالى كما جاء في يوحنا (28/8): (ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه).

إن النص المتقدم يبين الأمور التالية:

أولاً: أن نبي الله عيسى لا يبدأ الأعمال بناء على رغبته واجتهاده بل يتبع ما يوحى له من الله وقد جاء هذا النص مبيناً هذا المعنى في الترجمة العربية المشتركة: (وأني لا أعمل شيئاً من عندي).

ثانياً: أن نبي الله عيسى عليه السلام؛ لا يعلم شيئاً؛ وهذا لا يعيبه لأنه نبي وإنسان؛ والنبي الرسول الإنسان لا يعلم إلا ما يعلمه الله تبارك وتعالى؛ وهذا ظاهر بقوله: (بل أتكلم بهذا كما علمني أبي والذي أرسلني)؛ وهذا ظاهر في نص العربية المشتركة: (ولا أقول إلا ما علمني أبي)؛ وفي نسخة الحياة: (بل أقول الكلام الذي علمني إياه أبي).

ثالثاً: إن غاية نبي الله عيسى عليه السلام تنفيذ مشيئة الأب؛ وأنه لا يقوم بأعمال لا ترضي الأب؛ بل يسعى حثيثا للالتزام بالأعمال التي ترضي الله تبارك وتعالى وأنه يدعو الناس لذلك كما هو في النص (29/8) من يوحنا: (لأني في كل حين أفعل ما يرضيه).

وفي النسخة الكاثوليكية: (لأني أعمل دائماً أبداً ما يرضيه).

وفي نسخة الحياة: (لأني دائماً أعمل ما يرضيه).

وقد بين ذلك لبني إسرائيل بقوله كما في يوحنا (16/7): (أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني).

وقال في نسخة الحياة: (ليس تعليمي من عندي بل من عند الذي أرسلني).

وبناء على هذا فإن المشيئة النافذة هي مشيئة رب السماوات والأرض رب العالمين وقد قال نبي الله عيسى عليه السلام ذلك كما في يوحنا (30/5): (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني).

وفي نسخة الكاثوليك: (لأني لا أتوخى مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني).

لذا قال نبي الله عيسى في حقيقة تبليغه رسالة الله تبارك وتعالى وما يحمله من تعاليم أنها من كلام الله ووصايته له لا من عند نفسه لأنه لا يملك من الأمر شيء كما جاء في يوحنا (12/ 49) (لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم).

وفي ترجمة العربية المشتركة هكذا: (لأني ما تكلمت بشيء من عندي بل الأب الذي ارسلني أوصاني بما أقول وأتكلم).

وفي نسخة الحياة: (لأني لم أتكلم بشيء من عندي بل أقول ما أوصاني به الأب الذي أرسلني).

خلاصة القاعدة: أنت ترى أيها القارئ المنصف أن نبي الله عيسى عليه السلام له غاية في حياته؛ هي تنفيذ مشيئة الأب، وأنه يسعى حثيثاً لعمل كل ما يرضي الأب؛ وهذا من هم المرسلين وعمل المتقين؛ إذ غايتهم إرضاء رب العالمين.

الركن الثاني

دعوة نبي الله عيسى إلى التوحيد

إن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى غرض الأنبياء وحياة المرسلين؛ إذا نادوا في قومهم ومن وجب عليهم تبليغه أن لا إله إلا الله؛ وبينوا أن الغاية من إرسالهم تعليم كل من بلغ مقام التوحيد؛ وليعلم كل الناس أنه لا إله إلا الله؛ ولم يكن هذا الأمر سراً ولا خافياً أو خفياً، خاصة وأن نبي الله عيسى عليه السلام قد قال أمام الناس كل شيء علانية ولم يسرّ إلى أحد من أتباعه ولا غيرهم بشيء يخالف هذه الحقيقة كما جاء في يوحنا (18/ 20) (أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية؛ أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع يهود دائماً وفي الخفاء لم أتكلم بشيء).

لذلك لا يجوز لأحد أن يدعي غير ما نقل ولا مما نقل إلا ما صح؛ ولما لم يكن تحقيق النصوص ونقدها غايتنا؛ سرنا والنصارى ما أودعوا كتابهم؛ بل كتبهم.

إن دعوة نبي الله عيسى لم تخرج عن دعوة إخوانه من الأنبياء؛ وأنه أعلن ما أمر به من وجوب توحيد الله تبارك وتعالى ودعوة الناس إليه في السر والعلن؛ ومن هنا لا بد من بيان رأس دعوة نبي الله عيسى وفق ما جاء في أناجيل أهل الكتاب المسمى (العهد الجديد).

الإله الذي دعى له نبي الله عيسى عليه السلام وفق العهد الجديد

إن نبي الله عيسى عليه السلام حاله كحال سائر الأنبياء دعا إلى وحدانية الله تبارك وتعالى، وأنه سبحانه الإله الحقيقي الذي لا يجوز لأحد أن يزعم مشاركة الله في ألوهيته؛ ولا ربوبيته؛ ولا في أسمائه وصفاته، ولا يجوز لأحد من الناس أن يزعم أن الله تبارك وتعالى متعدد الأقانيم، أو إمكان انفصال ذاته عن بعضها إلى ذوات، إذ هذا ممتنع في حق الله وهو ممنوع في الشرع ممتنع في العقل مستحيل في الواقع.

وعليه لا بد من الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة في الموضوع تمهيداً بين يدي قول نبي الله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل وما دعاهم إليه من التوحيد.

هل قال يسوع أنّه الله؟

هل قال يسوع أنه أقنوم إلهي ثان؟

هل قال يسوع أنه طبيعة إلهية؟

هل قال يسوع أن ذاته تشبه ذات الله أو أنه مع الله في أوليته؛ أو أن صفاته هي صافته؛ وبقائه هو بقاؤه وحياته؟

الجواب: إن عيسى عليه السلام لم يقل شيئاً من ذلك، ولا ادعاه؛ إذ لم يقل لأحد من أتباعه أنه هو الله أو الأب، ولم يقل لأحد أنه الأقنوم الإلهي الثاني، ولا أن له طبيعة إلهية بل لم يزعم أن له صفة الإله.

من هنا نقول إن الإله الذي دعى له نبي الله عيسى عليه السلام الناس وأمرهم أن يؤمنوا به ويعبدوه هو الله الواحد، ولنجعل نصوص الإنجيل تبين لنا دعوة نبي الله عيسى إلى التوحيد كما هو مكتوب.

جاء في متى (19/ 17): (فقال له لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله).

بل إن نبي الله عيسى لما سئل عن أول الوصايا بل أول كل الوصايا أجابهم: أنها معرفة الله الواحد الأحد ومحبته كما في مرقس (12/ 28-34): (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل * فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد * وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى * وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك ليست وصية أخرى أعظم من هاتين * فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه * ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة....

فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله).

بل كان يسوع يعلم الناس أن التمجيد يجب أن ينصرف لخالق السماوات والأرض ومالكهما لأن الله هو الإله الحق كما جاء في لوقا (10/ 21): (وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمدك إياها الأب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفقهاء

وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الأب لأن هكذا صارت المسرة أمامك... وإذا ناموسي قام يجربه قائلاً يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية * فقال له ما هو مكتوب في الناموس، كيف تقرأ * فأجاب وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك * فقال له بالصواب أجبت أفعل هذا فتحيا)(1).

جاء في يوحنا (5/ 44): (كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه).

إن نبي الله عيسى قال لكل من سمعه أن الإله الحقيقي هو الله تبارك وتعالى الذي هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، جاء في متى (22/ 32): (وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل * أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء).

وقد بين للجميع الإله الحقيقي كما في يوحنا (14/ 3): (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).

بل إنه كان يُعلِّم كل من سأله عن أعظم الوصايا أن أعظمها هي محبة الإله الواحد، كما جاء في متى (22/ 26): (وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً * يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس * فقال له يسوع تحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك).

(1) قارن هذا النص بمرقس (12/ 28) ومتى (22/ 37).

لأن الأب الذي يجب أن يعبد وتصرف له الطاعات هو الله الواحد، ولا يوجد غيره، لا في الأرض ولا في السماء، كما جاء في متى (23/ 9): (لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات).

بل أعلنها صريحة في يوحنا (14/ 31): (ولكن ليفهم العالم أني أحب الأب وكما أوصاني الأب هكذا أفعل).

فهذه هي غايته وهذا هو مقصده وتلك هي رسالته؛ أما غايته فرضى الله، وأما مقصده أن يكون سبباً في هداية الخلق وفق مراد الله تعالى، أما رسالته فقد أعلنها مدوية أنه يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد وأن شريعته شريعة نبي الله موسى عليه السلام.

فبعد كل هذا هل يبقى أدنى شك عند أرباب العقول وأصحاب المعرفة أن عيسى هو عبد لله ورسوله؟ وأنه جاء ليعلم الناس تمجيد الرب وتعظيمه كما صرح مراراً عليه السلام في وجوه الذين لم يطلبوا رضا الرب موبخاً لهم على ترك تمجيد الرب الواحد فقال كما في يوحنا الإصحاح الخامس (44-45): (كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه).

هذا هو مطلب عيسى عليه السلام من الناس هو الإيمان بأن الله واحد لا شريك له كما جاء في الإصحاح السابع عشر (4): (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فكان عليه السلام معلماً، وما عدا ذلك البتة كما صرح هو نفسه بذلك كما في متى الإصحاح الثالث والعشرون (11).

إن الكلام عن دعوة الله تبارك وتعالى للإله الواحد ثابتة ثبوت الجبال وراسخة رسوخها كما بينا سابقاً؛ وسيأتي مزيد بيان بعد إن شاء الله، لكن وجب التنبيه على نصين مهمين في كتاب النصارى أعني به الإنجيل الذي يبين فيه المصلوب وفق معتقد النصارى إقراره بالإله الواحد؛ وأنه المصلوب عاجز لا قدرة له؛ ولا طاقة بالخلق؛ ولا بالابتلاء؛ فكان يصيح بصوته مستنجدا بالإله الواحد والرب المعبود والمخلص الحقيقي الغني عن كل ما سواه كما جاء في مرقس (15/ 34): (وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً، إلوي إلوي لم شبقتني؟ الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني).

وجاء في متى (27/ 46): (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي، إيلي لما شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟).

إن هذا الموضوع قد اشتمل على نقاط عدة في موضوعنا.

أولها: قول يسوع المصلوب عند النصارى أن له ربا يلجأ له في الشدائد ويستعين به في وقت الكرب والحوائج، فنادى ربه الإله وناشده بصوت عظيم، واستنجد به واستشفاه أن يخلصه من هذه المحنة وهذا الكرب وأن لا يتركه.

إن هذا النص ظاهر في إقرار يسوع حتى آخر لحظة من حياته أن له رباً وإلهاً.

أما التنبيهات التي على هذا النص مما له تعلق بهذه المسألة:

التنبيه الأول: إذا كان اللاهوت المتجسد بالناسوت هو الذي ينادي على الإله العظيم صاحب القدرة المطلقة أن ينجيه من هذه البلية، فإن

ذلك يعني أن هذا المصلوب ليس بإله، بل مخلوق عاجز ضعيف يناجي ربه كسائر الخلق والمستضعفين.

التنبيه الثاني: إذا قيل إن الذي نادى هو الناسوت.

قلنا: هل فارق اللاهوت ناسوته قبل الصلب؟

إن قالوا: نعم.

قلنا: إذا لم يقم الابن اللاهوتي بالمهمة التي نزل وتجسد من أجلها، ألا وهي التكفير عن الخطية الأصلية بالصلب وفق معتقدهم[1]، لكنه لما فارق الناسوت لم يحصل له الصلب فناداه الناسوت مذكراً له بالمهمة أو منادٍ له لحاكته له.

فإن قالوا: بل الذي نادى هو الناسوت، مع أن اللاهوت لم يفارق الجسد.

قلنا: إذاً قد توجه الناسوت إلى الإله الحق القادر على أن يخلصه من هذه البلية، وأن يعبر عنه هذا الكأس.

ثم نقول لكل عاقل: هل مات اللاهوت وفارق الحياة! أم لا؟

فإن قالوا نعم: عزيناهم أولاً بموت ربهم وإلههم.

---

(1) واعلم أنه لا يوجد نص نقلي في الإنجيل أن يسوع الابن جاء ليكفر عن الخطية؛ ألا وهي أكل آدم من الشجرة.

خلاصة الفكرة عندهم: أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة لم يستطع الرب أن يغفر له؛ فألزم نفسه بإرسال ابنه ليعيش إنساناً بين الناس، ويموت على الصليب لأن آدم آكل من الشجرة.

وكما لا يخفى أن هذا من أعجب العجب، ومن عظيم امتهان الرب سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

ثم قلنا: من أرسله ليقوم بمهمته؟ ومن ذا الذي ناجاه في محنته؟ ومن رعى الكون في الأيام التي ماتها ربهم؟ ومن أحياه عند قيامته؟

إن قالوا كسائر العقلاء: إن الإله لا يموت.

قلنا: ذهبت عقيدة الصلب بما فيها، وزال سبب التجسد ودعوته؛ لأن نزوله لم يكن إلا ليصلب ويموت ـ كما هو معتقدهم ـ.

وإن قالوا أنه مات رجعنا إلى التساؤلات المتقدمة والتي يحار العقل في دعواها ويجزم بغلطها.

أما التنبيه الثاني الذي نذكره بناء على معتقد النصارى في الصلب:

إن المصلوب بعد قيامته نص على أن له رباً واحداً وإلها قادراً، كما في يوحنا (20/ 17): (قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).

فإذا ما نظرت في هذين النصين اللذين يتحدثان عن الصلب، كان النص فيهما ظاهر بأن للمصلوب رباً عند صلبه، وأن للقائم من الموت وفق معتقدهم إلهاً أحياه وأقامه.

إن هذا الرب الإله هو الله تبارك وتعالى.

ثانياً: إن المصلوب جرى عليه ما يجري على سائر الخلق من الحاجة والضعف والتألم والخوف، وكذلك الموت؛ ومن كان هذا حاله لا يمكن أن يكون رباً وإلهاً.

نبي الله عيسى يعلن أن الواهب الحقيقي للحياة والإيمان هو الله

إن نبي الله عيسى عليه السلام كان يكرز في الناس، ويعلم الجميع أن معطي الإيمان والمتفضل على كل الأنام بكل نعمة هو الله تبارك وتعالى، ولا أحد سواه، وأنه لا يمكن لأحد أن يحصل على هذه المنزلة الإيمانية إلا إذا آمن برسل الله، الذين يبلغون الناس كيف يعبدون الله تعالى، ويتحصلون على مرضاته، ليدخلوا بعد إلى جنته وملكوته، وهذا ظاهر كما في يوحنا (6 / 32): (فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء * لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب للعالم * فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز * فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة، ومن يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً * ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون بي * لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني * وهذه مشيئة الأب الذي أرسلني).

وجاء في النسخة العربية المشتركة زيادة في الترجمة مهمة: (الحق الحق أقول لكم ما أعطاكم موسى الخبز من السماء، أبي وحده يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء).

فزاد (وحده) وهذا يبين أن لا أحد من الخلق، ولا أحد سوى الله سبحانه يعطي إيماناً حقيقياً، بل إن عمل المرسلين ومشيئتهم وفق أمر الله ومشيئته.

يسوع لم يسجد إلا لله

لقد أعلن عيسى عليه السلام للعالم أنه لا يجوز لأحد أن يسجد لغير الله تعالى، ولا أن يعبد سواه كما هو معلن عن ذلك في كلام يسوع لإبليس وفق متى (4/ 10) في تجربة الشيطان له: (وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي؛ حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد).

بل كان رسول الله عيسى عليه السلام يبكي بخضوع وخشوع عظيم بين يدي الله عز وجل ويصلي لربه سبحانه وتعالى، كما في متى الإصحاح السادس والثلاثين (36-44): (فقال للتلاميذ اجلسوا هنا حتى أمضي وأصلي هناك * ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معي * ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت * ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً * فقال لبطرس أهكذا؟ ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة * اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة، أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف * ثم مضى ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك * ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة * فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه).

فأنت ترى في هذا النص أنه كان يعلن لتلاميذه كما يعلن لعامة البشر أنه عبد من عباد الله تعالى وأنه محتاج إلى أن يتقرب إلى الله تبارك وتعالى في

كل لحظة وفي كل أمر؛ بل تراه يقوم بواجب العبادات كما أراه الله تعالى وأوحى إليه فها هو يقول لتلامذته: (اجلسوا هنا حتى أمضي وأصلي)؛ وهذا الفعل لا يكون إلا من عبد مطيع لله تبارك وتعالى؛ ثم ترى في صلاته قمة الخشوع والتضرع؛ وشدة الإلحاح وبيان ضعفه بين يدي ربه؛ بل وأظهر قمة الحاجة لمالك الملك المتصرف في الخلق؛ وذلك في حزنه واكتئابه.

بل وزاد الأمر بأن قام بالسجود والخرور على وجهه ليعلن قمة الخضوع والطاعة والانصياع والحاجة، وأنه أضعف من أن يرد عن نفسه ضراً أو أن يجلب لنفسه نفعاً، فقال (فلتعبر عني هذا الكأس)؛ إن كل هذه الأفعال وغيره من النصوص التي نادى بها يسوع ليقول لكل من يؤمن به أنه عبد من عباد الله تبارك وتعالى، لا أكثر من ذلك.

تدبر النص التالي الذي يظهر فيه يسوع أن لا إرادة له نافذة في أمر يخصه، ناهيك عما لا يملك فيه لغيره نفعاً أو ضراً، كما في لوقا: (22/ 40-64) (ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة * وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى * قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذا الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك * وظهر له ملاك من السماء يقويه * وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض * ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن * فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا فصلوا لئلا تدخلوا في تجربة).

فأنت ترى في هذا الموضع إعادة التأكيد على أن نبي الله عيسى عليه السلام كان كثير التعبد، وكثير التضرع لخالقه ومولاه المتصرف في كل

شؤونه؛ وقد كان يأمر أتباعه بالصلاة والتضرع كما كان هو يفعل؛ بل وينكر عليهم النوم في الأوقات التي يجب في مثلها الصلاة، خاصة تلك الأوقات العصيبة، التي يبتلى فيها المؤمن؛ فلا نجاة له إلا بالرجوع والتضرع إلى ملك الملوك ورب الأرباب؛ المتصرف في كل أمور الخلق المطلع على كل غيب.

بل بلغ به الضعف أن احتاج إلى نزول ملاك الرب ليؤيده ويقويه ويعزيه ويعينه في الثبات في تلك المحنة، ليجتازها بقوة العابد الصابر المحتسب الراضي بقضاء الله المسلم له.

بل كان لا يضيع وقته في تقربه إلى ربه ومولاه كما في متى (14/ 23): (ولما صرفهم صعد إلى الجبل ليصلي في العزلة وكان في المساء وحده).

وفي ترجمة الفانديك: (وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي ولما صار المساء كان هناك وحده).

فتدبر مدة وقت صلاته وحسنها وطولها؛ كل ذلك الفعل والتقرب بالصلاة لله وحده لا شريك له.

وكان هذا ديدنه في كل وقت وفي كل لحظة أمكنه الخلوة بالله تبارك وتعالى؛ ليصلي ويتضرع كما في مرقس (1/ 35): (وقام قبل الفجر مبكراً، فخرج وذهب إلى مكان قفر وأخذ يصلي هناك).

وفي نسخة الفانديك: (وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلي هناك).

ويدل على ذلك ـ أعني كثرة صلاته وتضرعه لله ـ ما جاء في لوقا: (5/ 16): (وأما هو فكان يعتزل في البراري ويصلي).

وكان من كثرة صلاته في الليل أن يقوم الليل كله متعبداً متضرعاً لله تبارك وتعالى، كما جاء في لوقا (6/ 12): (وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله).

وفي مرقس (6/ 46): (وبعدما ودعهم مضى إلى الجبل ليصلي).

وفي لوقا (3/ 21): (وإذ كان يصلي انفتحت السماء * ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت).

لذا كان يأمر أتباعه بعبادة الله الواحد مقتدين به في عبادته وتقربه؛ وبيَّن لهم كيف يصلون وماذا يقولون، وكيف يتقربون لله، كما في يوحنا (6/ 9): (فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض).

وقد كان عليه السلام في كل ذلك أنموذجاً حياً في التقرب إلى الله لأتباعه من الأنقياء الأصفياء الذين يقومون بالعبادة والصلاة لله؛ خاصة في وقت الضيق؛ كما هو ظاهر في المزامير (32/ 6): (لذلك يصلي إليك كل صفي في أوان الضيق حتى وإن طغت المياه الغزيرة لما استطاعت إليه سبيلاً).

بل علمهم وأدبهم في تصحيح نواياهم إذا توجهوا في صلاتهم لله تبارك وتعالى؛ فقال لهم: من أراد أخذ الأجر من الأب، وأراد النجاة من العقوبة فعليه بالإخلاص لله في أعماله وعبادته كما في متى 6/ 7: (ومتى صليت فلا تكن من المرائين، فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع، وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس، الحق أقول لكم قد استوفوا

أجرهم * وأما أنت فما صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية * وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم * فلا تتشبهوا بهم؛ لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه فصلوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك).

أنت ترى أيها المنصف أن نبي الله عيسى يأمر المؤمنين به وأتباعه أن يتوجهوا في العبادة لله وحده لا شريك له، لأنه وحده هو الذي يعطي الأجر لعباده ويعطي رسله الثواب، وعلّمهم أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فعبادته باطلة، وأنه يأخذ أجرها لمن صلى مرائياً له.

وقد جاءٍ منصوصاً أن غافر الذنب هو الله تعالى كما في مرقس (11/ 25): (ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم).

وقد بيَّن الله تبارك وتعالى أن من أشرك في صلاته معه أحداً، لا يقبل منه تلك الصلاة ولا يرضى منه تلك العبادة بل هي باطلة كما جاء في لوقا (7/ 7): (وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس).

وفي ترجمة العربية المشتركة: (وهو باطلاً يعبدني بتعاليم وضعها البشر).

وفي النسخة الكاثوليكية هكذا: (إنهم بالباطل يعبدونني فليس ما يعلمون من المذاهب سوى أحكاماً بشرية).

إن من العلم الضروري أن الإله الواحد سبحانه الخالق المتصرف في هذا الكون القائم على شؤون الخلق بالإيجاد والتدبير؛ المستحق للعبادة دون غيره، لا بد وأن يكون مستغنياً عنهم لا يُنْقِص مَنْ عَصَاه مِنْ ملكه شيئاً، ولا يزيد في ملكوته من أطاعه شيئاً؛ وأن الخلق جميعهم في احتياج له بكل أطوارهم ومتقلبهم؛ وأن له من صفات الكمال والتأله ما لا يحصيه سواه؛ وأن مطلق الكمال في حقه سبحانه واجب؛ إذ كل ذلك معلوم بدلالة الشرع والعقل والفطرة؛ وأن من انتفت عنه صفات الكمال وظهرت به الحاجة إلى غيره؛ بشيء من متطلبات الوجود، والقدرة على استمرارية الحياة؛ لا يمكن أن يكون رباً وإلهاً؛ وذلك أن الإله هو المسير لأمر خلقه، المستغني عن كل موجود من الخَلق؛ إذ هو الموجد لكل حركاتهم وسكناتهم؛ وخالق قدراتهم وطموحهم؛ العالم بعجزهم وافتقارهم، فلا يمكن بحال احتياج القادر بإطلاق للعاجز بإطلاق.

لقد صرّح نبي الله عيسى عليه السلام أن العبادة الحقيقة هي السجود للإله الحق، ألا وهو الله تبارك وتعالى، كما جاء في يوحنا (4/ 23): (ولكي تأتي الساعة، وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق؛ لأن الأب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدون).

وفي النسخة الكاثوليكية: (ولكن تأتي ساعة ـ وقد حضرت الآن ـ فيها العباد الصادقون يعبدون الأب بالروح والحق فمثل أولئك العباد يريد الأب).

أما نسخة الحياة فقد جاءت ألفاظها أكثر وضوحاً لما قال: (فستأتي ساعة، بل هي الآن حين يعبد العابدون الصادقون الأب بالروح وبالحق، لأن الأب يبتغي مثل هؤلاء العابدين).

بل إن نبي الله عيسى عليه السلام كان يقوم بتلك العبادات راجياً أن يحصل بإخلاصه فيها وتقربه من ربه ومولاه بها كل الآيات والمعجزات إذ أنه يعد من العباد الصادقين الذين يتوجهون إلى الله في الدعاء والرجاء، ليحصل له المطلوب في التدليل على أنه مرسل من عند الله، كما في يوحنا (11/ 41): (فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً، ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي * وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني).

فاستجيب له فأتم حمده لله وشكره له، مبيناً السبب وأن الفاعل الحقيقي لهذه الأية وهو الله تبارك وتعالى فقال: (لأنك سمعت لي).

ثم بين ثمرة كل ذلك: (ليؤمنوا أنك أرسلتني)؛ ولا يعدو الأمر عند نبي الله عيسى غير ذلك.

وقال للمرأة السامرية وهو يدعوها إلى الإيمان بنبوته كما في يوحنا (4/ 22): (أنتم تعبدون ما لا تعلمون ونحن نعبد ما نعلم).

نبي الله عيسى عرّف الناس بنفسه أنه نبي مرسل وبذا عرفوه

إن نبي الله عيسى عليه السلام بين لعامة الناس أنه نبي؛ وهو في كل وقت وفي كل زمان سيبقى كذلك؛ وأن حاله كحال جميع الأنبياء والمرسلين؛ ويمكن أن يجري عليه من العنت والتعب والمعاناة ما جرى على سائر الأنبياء، كما في لوقا (13/ 31): (في ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك * فقال لهم امضوا وقولا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل * بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم * يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين).

وجاء في يوحنا (4/ 44): (لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه).

وهذا فيه بيان أن نبي الله عيسى وقع عليه من العنت والتعذيب والمشقة ما وقع على سائر الأنبياء؛ وأنه عانى مثل معاناتهم، وقد أكد على أنه نبي ورسول من عند الله كما جاء في يوحنا (8/ 26): (لكن الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم * ولم يفهم أنه كان يقول لهم عن الأب).

بل كان يقرّع يهود على عدم قبولهم كلامه ومحاولتهم قتله لأنه يقول أنه نبي سمع من الله الوحي، وأنه مأمور بتبليغهم وهم يرفضون ذلك منه، واعتبروه كاذباً مهرطقاً كما جاء في يوحنا (8/ 40): (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

لقد كان الناس من بني إسرائيل يرقبون أفعال نبي الله عيسى عليه السلام ليقفوا على حقيقته إن كان مجدفاً مفترياً أم أنه مرسل من عند الله تبارك وتعالى، وكان نبي الله عيسى عليه السلام يظهر المعجزة تلو الأخرى إلى أن قام بمعجزة من أعظم معجزاته التي وهبها الله له والتي يحدثنا عنها لوقا (7/ 12-16): (فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة * فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي * ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون، فقال أيها الشاب لك أقول قم * فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أنه * فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه).

وجاء في يوحنا (3/ 1): (هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي تعمل إن لم يكن الله معه).

وهذا ما كان يفهمه ويعلمه كل من رأى آية من نبي الله عيسى كما في يوحنا (4/ 19): (قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي).

بل إن الناس كلما رأوا من نبي الله عيسى آية صاحوا جميعاً كأنهم على رأي واحد وكلمة واحدة أنه نبي من عند الله لا أكثر كما في يوحنا (6/ 14): (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم).

بل ها هو الذي أجرى نبي الله عليه آية من الآيات ورد عليه بصره بإذن الله لما سئل عن نبي الله عيسى لم يزيد على قوله فيه (هو نبي) كما في

يوحنا (9/ 17): (قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك، فقال إنه نبي).

فلم يقل على طول مراحل حياته قبل رفعه عليه السلام، وبعد كل الآيات التي ظهرت على يديه لم يقل أحد غير الذي ذكرناه ولا رفعه أحد فوق مقام النبوة والرسالة، ولا هو قال غير ذلك، وعليه فإن العاقل لا يتجرأ على تقويل نبي الله عيسى ما لم يقله.

وقد بين نبي الله عيسى ردة فعل الناس على دعوته وإرسال الله له، كما جاء في يوحنا (5/ 45): (لا تظنوا أني أشكوكم إلى الأب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجائكم).

ذلك أن الأنبياء يتوجهون إلى الله تبارك وتعالى إذا ما كذبهم قومهم ويشكون الناس إليه سبحانه، وهذا الحال حال جميع الأنبياء ومنهم نبي الله عيسى عليه السلام؛ بل إن موقف بني إسرائيل من نبي الله عيسى تكذيبه في كل شيء، تكذيبه أن يكون نبياً ورسولاً؛ وقالوا عنه مهرطق، وكذبوه أن يكون قد ذكر عنه شيئاً في العهد القديم، وهذا كما في تتمة الفقرة في يوحنا: (لأنكم لو كنتم تصدقونني لأنه هو مكتوب عني * فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي)[1].

بل لم يقبلوا منه الإعلان عن نفسه أنه عبد لله ورسول من عنده كما في يوحنا (13/ 16): (الحق الحق لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله).

(1) هذا الذي قيل عن نبي الله عيسى يقال للنصارى عن نبينا محمد ﷺ.

وبهذا البيان جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (2/ 5): (لأنه إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع).

نبي الله عيسى ينزل عليه الوحي بالروح القدس

إن نبي الله عيسى عليه السلام كسائر الأنبياء يتلقى الوحي بكافة أشكاله وطرائقه وأنواعه ومن ذلك الوحي نزول الروح القدس عليه والذي جاءه بالوحي عن الله لسائر الأنبياء وذلك كما في يوحنا (11/ 33): (فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب).

وهذا يدل على نزول روح الله عليه بالوحي، وتأييده بالمعجزة التي يجريها الله تبارك وتعالى على يديه للتدليل على صدقه ونبوته.

وكذا قوله في إعلامه عن الذي سيسلمه وفـق معتقدهم كما في يوحنـا (13/ 21): (لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني).

وجاء في لوقا (4/ 1): (أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية).

وجاء في لوقا: (3/ 21): (ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، وإذا كان يصلي انفتحت السماء * ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت).

وفي نسخة العربية المشتركة: (وحل الروح القدس في صورة جسم كأنه حمامة، وجاء صوت من السماء يقول أنت ابني الحبيب بك رضيت).

وفي النسخة الكاثوليكية: (ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: أنت ابني الحبيب عنك رضيت).

وجاء في متى (3/ 16): (فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات له فرأى روح الله نازلا عليه مثل حمامة وآتياً عليه * وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

إعلان نبي الله عيسى عجزه عن أمور كسائر البشر

إن نبي الله عيسى عليه السلام قد أعلن للناس أجمع عن عجزه فعل كثير من الأشياء؛ لأنه مجرد نبي ورسول مبلغ، كما جاء في يوحنا الإصحاح الخامس (19): (فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل).

فماذا يحتاج العاقل المصدق لنبيه أكثر من هذا التصريح؛ بأنه لا يقدر على فعل أي شيء إلا بإرادة الله وحده وأمره ؛ لأن مشيئة الابن لا تخرج عن مشيئة الأب وإن فعلت أو حاولت وحاشا، فهي آبقة قاصرة غير قادرة.

لذلك كان التصريح من نبي الله عيسى عليه السلام بالقول (الحق الحق أقول لكم) فمن لم يؤمن بهذا الحق الذي قاله عيسى عليه السلام فكيف يدعي حبه وتصديقه؟ وهل بعد الحق إلا الكذب والخداع والضلال؟!

وإن كان الحق الذي قاله نبي الله عيسى أنه لا يقدر على فعل شيء إلا بإذن الأب وأمره فهل يحق لأحد من الخلق التشكيك بهذا القول، أو أن يدعي أنه يقدر على فعل الأشياء من نفسه دون احتياجه للأب! ومن زعم ذلك هل يمكن اعتباره مؤمناً بما قال عيسى عليه السلام؟

إن الذين خرقوا دينهم بمعتقد لغز التثليث لم يرضوا بما حكاه لهم نبي الله عيسى عليه السلام، ولم يريدوا أن يسمعوا حقيقة الأمر منه لتغلب الهوى على قلوبهم، ألم يقل لهم كما في يوحنا من نفس الإصحاح (31):

(أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني).

فأنت تراه يلجأ إلى الله في كل محنة تصيبه وفي كل موقف يضعف فيه، كما جاء في يوحنا (12/27): (الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول، أيها الأب نجني من هذه الساعة).

وقد بين كذلك لكل من آمن به أنه لا سلطان له يوم القيامة إلا بإذن الله تبارك وتعالى؛ وأن لا أحد يمكن أن ينال منزلة إلا من أَذِن له الأب، كما جاء في متى (20/ 24): (حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً * فقال لها ماذا تريدين، قالت له قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك * فأجاب يسوع وقال لستما تعلمان ما تطلبان... وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي).

وجاء في مرقس في النسخة العربية المشتركة (10/ 40): (وأما الجلوس عن يميني أو عن شمالي فلا يحق لي أن أعطيه لأنه للذين هيأه الله لهم).

أما في النسخة الكاثوليكية: (وأما الجلوس عن يميني أو شمالي فليس لي أن أمنحه، وإنما هو للذين أعد لهم).

إن كل هذا الضعف والنقص الطبيعي الذي في نبي الله عيسى حاله كما هو حال سائر الخلق؛ أما الله القدير فهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقد أعلن ذلك نبي الله عيسى عليه السلام لكل

بني إسرائيل ولكل من آمن به كما جاء في متى (19/ 26): (هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع).

وفي نسخة العربية المشتركة: (فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا شيء غير ممكن عند الناس، أما عند الله فكل شيء ممكن).

وفي النسخة الكاثوليكية: (فحدق إليهم يسوع وقل لهم: أما الناس فهذا شيء يعجزهم، وأما الله فإنه على كل شيء قدير).

فأنت ترى أن هذه الفقرات قد تنوعت ألفاظها لكنها أحاطت بجوهر المعنى الواحد بلا تغيير، وقد أضاف كل لفظ معنى زائداً على غيره، مع أننا نعلم أن كل لفظ لا يعدو عن كونه ترجمة وهذه الألفاظ (كل شيء مستطاع) وقوله (كل شيء ممكن) إذ لا يدخل على قدرته العجز والاستحالة بل قدرته مدركة كل موجود، وكل ما يريد يدخل على باب الإمكان عنده سبحانه لذا قال في الترجمة الأخرى (على كل شيء قدير) فلا يعجزه شيء ولا يفوته موجود ولا يخرج عن إرادته كل موجود ومدرك.

وجاء في مرقس (14/ 36): (وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذا الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت).

وجاء في نسخة العربية المشتركة هكذا: (فقال: أبي يا أبي، أنت قادر على كل شيء فأبعد عني هذه الكأس، ولكن لا كما أنا أريد بل كما أنت تريد).

وفي النسخة الكاثوليكية: (قال أبا، يا أبت إنك على كل شيء قدير...).

فإن قيل إن هذا في حق الناس أما يسوع فهو ليس بإنسان.

قلت: إن هذا كلام من لم يعرف كلام يسوع في الكتاب المقدس وذلك وفق متى (8/ 20): (وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه).

وفي متى (20/ 18): (ها نحن صاعدون إلى أورشليم؛ وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت).

وفي متى (11/ 19): (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا ابن الإنسان أكول وشريب خمر محب للعاشرين والخطاة والحكمة تبررت ببنيها).

وفي مرقس (8 / 31): (وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً).

وفي لوقا (17/ 22): (وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون).

وجاء في يوحنا (8/ 40): (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني؛ وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

وغيرها من النصوص الكثيرة التي تبين أن عيسى عليه السلام حاله كحال الأنبياء، وأنه خلقه كسائر البشر، ويجري عليه ما يجري عليهم وسيأتي قريباً الكلام على هذا الموضوع بأنه عليه السلام قدم نفسه للعالم أنه إنسان وابن إنسان.

نبي الله عيسى لا يعرف أشياء

إن بشرية المسيح عليه السلام بينت لكل غافل سبب عدم معرفته موعد القيامة كما في متى الإصحاح الرابع والعشرين (36): (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده) وذلك لأن ممات الناس وحسابهم على خالقهم ومنشئهم النشأة الأولى؛ فلا يعلم موعدها ولا يجليها لوقتها إلا الله تبارك وتعالى.

وقد جاء في مرقس (13/ 32): (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن؛ إلا الأب).

بل إنه لم يعلم أقـل من هذا لما سئل عن موضع الميت كما في يوحنـا (11/ 32): (فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرّت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي * فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب * وقال أين وضعتموه قالوا يا سيد تعال وانظر...).

بل إنه لم يعلم أقل من ذلك كما جاء في متى (21/ 18): (وفي الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع * فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقا فقط، فقال لها لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة في الحال).

بل انظر إلى هذه النصوص التي تبين شدة قرب الحدث به وهو لا يعلم فاعله ولا يعرفه حتى يخبر عنه كما جاء في مرقس (5/ 30): (فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعرا في نفسه بالقوة التي خرجت

منه وقال من لمس ثيابي * فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني).

إعلان يسوع عن نفسه أنه إنسان وابن الإنسان

إن نبي الله عيسى عليه السلام قدم نفسه للناس أنه بشر وأنه رسول من عند الله يبلغ كلامه كما جاء في لوقا (21/ 27): (وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما * أما هو فقال بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه).

فهو لم ينكر عليها ما قالته عن بشريته وما هو معلوم من حاله وكلامها عن شخصه أمام الناس بل كان همه أن يوصل لها ما أراد الله منه أن يبلغه للناس؛ ألا وهو حمل كلام الله وحفظه والعمل به.

وهذا البيان منه عليه السلام كان لأتباعه ولليهود الذين كان يدعوهم إلى الله والإيمان به كرسول كما في يوحنا الإصحاح الثامن (29-30): (ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي * والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه).

لذلك قال في نفس الإصحاح (40): (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

وجاء في نسخة الحياة: (ولكنكم تسعون إلى قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله، وهذا لم يفعله إبراهيم).

وجاء في يوحنا (7/ 46): (أجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان).

وجاء في يوحنا (18/ 17): (فقالت الجارية البوابة لبطرس ألست أنت أيضا من تلاميذ هذا الإنسان؟ قال ذاك لست أنا).

وجاء في يوحنا (6/ 29): (هلموا أنظروا إنسانا قال لي كل ما فعلت، ألعل هذا المسيح).

إن نبي الله عيسى عليه السلام قال عشرات المواضع أنه ابن الإنسان ولم يقل أنه الإله الابن وإليك البيان من نصوص عده؛ جاء في لوقا (7/ 34): (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة).

وجاء في لوقا (9/ 44): (اسمعوا أنتم جيدا ما أقوله لكم سيسلم ابن الإنسان إلى أيدي الناس).

وقال لوقا (9/ 58): (فقال له يسوع: للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه).

وفي لوقا (12/ 8): (وأقول لكم من اعترف بي قدام الناس، يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله).

وفي لوقا (17/ 22): (وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ولا ترون).

وفي لوقا (19/ 10): (لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك).

وقال في يوحنا (3/ 14): (وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان).

وفي النسخة الكاثوليكية: (فكذلك يجب أن يرفع ابنَ الإنسان).

وغيرها من النصوص التي لو أردنا أن نسردها لطال الأمر لكن بما ذكرت غنية لكل باحث عن الحق، فما بقي من عذر لتائه ولا حجة لمخاصم ولا قولا لمجادل فهل بعد الحق إلا الضلال وبعد النور إلا الظلام وبعد العلم والبرهان إلا الغواية والجهالة والعمى والكفران؟؟؟.

فهذه هي دعوة نبي الله عيسى عليه السلام إلى التوحيد كما جاءت في الإنجيل، وبيانه لما هو عليه أصلاً، فالتزموا بها يا من آمن بعيسى عليه السلام ولا تحيدوا عن دعوته ودينه لأنكم إن فعلتم تكونوا بكل بساطة لستم من أتباعه ولا حراس دعوته ولن تنالوا في النهاية إلا الخسران، وبحيرة الكبريت ولن تدخلوا الملكوت لأنكم سلكتم مسلكاً غير مسلك نبي الله الذي دعاكم إليه وعليكم بعدها التماس الأجر من غير الله الذي خالفتم أمره وأمر رسوله ونبيه عيسى عليه السلام ولا خلاص لكم لأنكم تكونوا قد نقضتم الناموس الحق ببدعتكم التثليث الباطل، فالسعيد من اتعظ وفهم والشقي من تجاهل وعاند.

لأن الذي لا يستجيب ليسوع سيكون حاله في يوم الدينونة كما جاء في متى (7/ 23): (ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات * كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة * فحينئذ أصرّح لهم إني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم).

وفي النسخة العربية المشتركة: (فأقول لهم ما عرفتكم مرة، ابتعدوا عني يا أشرار).

تساؤلات واجابات

لقد تقدم البيان أن الله عز وجل خلق الخلق ليعرفوه ثم يعبدوه وبذلك قامت السماوات والأرض وأرسل الله الرسل؛ فشط أهل الكتاب عن البينة وسلكوا سبيل الغي عن ضلال وبغي فلزم بيان الحال وتوضيح حقيقة الديانة والمقال الذي جاء به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

لقد زعم النصارى أن رسولهم الذي أرسل إليهم هو الله أو الإله الابن وتقولوا عليه الأقاويل هادمين كل بنيان بناه وكل التعاليم التي أرسله الله بها، ولبّس عليهم الشيطان القول وصرف وجوههم نحو مخلوق من مخلوقات الله ورسول من رسل الله فعبدوه، بل وزعموا أنه الرب الأعظم والإله الأمثل الذي يجب أن يعبد دون سواه وله يركع ويسجد وتتأله له القلوب وتصرف إليه شتى أنواع العبادات والقربات؛ وحتى تعلم الصواب من الخطأ؛ والتوحيد من الشرك والضلال من الهدى في هذا الباب عليك معرفة التالي.

أولاً: اعلم يا طالب الحق والباحث عن سبيل الهدى والقسط أن النصارى لا يفهمون كثيرا مما في كتبهم من المواعظ والإرشادات التي كان عيسى عليه السلام قالها لتلاميذه وهذا ليس بجديد ولا عجيب لأن تلاميذ عيسى عليه السلام أنفسهم لم يكونوا يفهمون كل ما يقال لهم كما جاء في يوحنا الإصحاح الحادي عشر من (11-15): (قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام لكني أذهب لأوقظه فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى وكان يسوع يقول عن موته فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات...).

وقال في متى الإصحاح السادس عشر من (6–12): (وقال لهم يسوع انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين ففكروا في أنفسهم قائلين إننا لم نأخذ خبزا فعلم يسوع وقال لهم لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزا أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون خمس خبزات....).

وقال في مرقس (7/ 14): (ثم دعا كل الجمع وقال لهم اسمعوا مني كلكم وافهموا * ليس كل شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان * إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع * ولما دخل من عند الجمع إلى البيت سأله تلاميذه عن المثل * فقال لهم أفأنتم أيضاً هكذا غير فاهمين، أما تفهمون أن كل ما يدخل...).

فكيف ترى من بعدهم في معتقدهم وحتى تدرك أنهم لا يفهمون معتقدهم ولا يقدرون على تفسيره إلا على سبيل الإجمال والتهويش لا عن فهم ومعرفة مع أنه أصل الأصول ومفتاح كل مسبور[1] فسلهم ما معنى قولكم الله ثالث ثلاثة والواحد في الكل والكل في الواحد؟ وأنه في الأرض إله متجسد وفي السماء إله متحد؟ فاسألوهم إن كانوا ينطقون؛ وإن نطقوا فلا تراهم يفصحون، وعليه قل لهم وسلهم عن نسب المسيح ونسبته؟.

(1) هو المجموع قبل التفصيل وقاعدة كل منثور كما يقال في الأصول السبر والتقسيم فانظره في موضعه.

فتراهـم يسارعون إلى القول قد جاء في يوحنا الإصحاح الأول (1-5): (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ولد إبراهيم ولد اسحق وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا...).

أو تراه يسارع إلى ما جاء في لوقا الإصحاح الثالث (24-38): (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف ابن هالي بن متثات... بن شيث بن آدم ابن الله).

ونحن في هذا المقام لن نسأل عن سبب التغاير في النسب عندهم مع زعمهم أن كتابهم من عند الله ليس فيه تغاير واختلاف مع ما فيه الاختلاف والخلاف؛ ولن نسألهم لما طعنتم في أمه واتهمتموها بالحمل من يوسف سفاحاً فقلتم في حمله ونسبه (على ما كان يظن).

وإنما سنسأل لم هذا النسب الطويل إلى آدم وهو ليس من صلبه؟ ولماذا لا يوجد في النسب اسم إلله؟.

فتراهم يتخبطون وأحسن ما ستسمع منهم أن هذا نسب مريم وذاك نسب يوسف.

فنقول: إن كان نسب مريم فلم لم تذكر فيه وهي الطاهرة المطهرة من الإثم والخطيئة؟ وكيف يجوز أن ينسب إلى الله بالنسب من كان معلوم النسب.

ثم إنا لم نسألكم عن نسب مريم وإنما سألنا عن نسب المسيح عليه السلام ونسبته، فإن قالوا هو هو، كفونا المؤنة وبان ما غلطوا به على الله وعلى رسوله عليه السلام.

وإن قالوا هذا نسب الناسوت وليس نسب اللاهوت؛ وقد جاء منصوصاً على ذلك في الإنجيل أنه ابن الله.

قلنا: الجواب من أوجه:

الأول: إن النسب واجب الإظهار حال السؤال عن شخص للتعريف به لا أن ينسب إلى أهله وأقربائه وإنما ما يعرف به السائل؛ وهذا في جوابكم ليس موجوداً؛ ولا معروفاً، ولا منصوصاً عليه في كتابك كما هو منصوص على نسب أمه البتول عليها السلام؛ وهذا من أقبح التعريف إن أردتم أنه تعريف.

الثاني: أنه قد تم نسبة غير المسيح إلى الله وهو آدم عليه السلام وذلك بقولكم (آدم ابن الله).

فهل نسبة آدم إلى الله فيها خلط وغفلة و عجز عن التعريف بعيسى عليه السلام وأنه ابن الله النسبي لا السببي؟.

أو أن آدم عليه السلام اشترك مع عيسى عليه السلام في البنوة الألهية.

الثالث: إن لفظ ابن الله وأبناء الله ليس من حيث النسب السببي بل من حيث النسبة؛ وهذا وارد في جميع الموحدين كقولكم في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا (9): (كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله بهذا أولاد الله ظاهرون). كما سيأتي زيادة بيان في حينه إن شاء الله.

وعليه فإن النسب الصحيح على ما أوردتموه في الكتاب الذي تؤمنون به أنه ابن الإنسان وقد جاء هذا في ثلاثة وثمانين موضعا من العهد الجديد ولفظ (ابن الله مصرح) بالإضافة في ثلاثة عشر موضعا أو يزيد

قليلا إن سهوت عن بعضه فكيف تتجاوزون هذا الكم المعرف لأصل عيسى عليه السلام وأنه من تراب كسائر خلق الله وتعمدون إلى الألفاظ المبهمة المشتبهة وتجعلونها عمدة العقيدة وسبيل النجاة؟! إن هذا لشيء عجاب.

إن العهد القديم قد أطلق لفظ ابن الله على الطائعين له كما هو الحال في العهد الجديد؛ ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين (6/ 2): (إن أبناء الله رأوا بنات الناس...).

وفي المزامير (29/ 1): (قدموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب مجداً وعزاً).

ومما جاء في العهد الجديد ما جاء في متى (5 / 9): (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون).

وجاء في يوحنا (11/ 52): (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

وبعد: إن هذا البيان يظهر لكل منصف أن نسبة البنوة لله وفق الكتاب المقدس بعهديه لا يعني أبدا البنوة الحقيقة المتصلة بالذات الإلهية، بل هي بنوة معنوية سببها الإيمان بالله والإنصياع لأوامره لهذا جاء في المزامير (89/ 6): (من يشبه الرب بين ابناء الله).

واعلم أن كل هؤلاء الأبناء المنسوبين لله بشر عاجزون كما أعلن عن ذلك يسوع جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس (19): (فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل).

وقال فيه عن نفسه ومن دونه أولى (13): (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني).

فهذه النصوص وما شابهها تدل على أن عيسى عليه السلام عبد من عباد الله أرسله إلى الناس وأنه منفذ أمر الله كما أمر الله تعالى.

بل كان يتعبد الله مدللا على أنه عبد من عباد الله؛ وقد أظهر ذلك بعبادته وتضرعه؛ ولا يمكن أن يكون العابد والمعبود واحد؛ وهذا ظاهر في مرقس في الإصحاح السادس والعشرون (36-45): (حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جشماني فقال للتلاميذ اجلسوا حتى أمضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابني زبيدي وأبتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم إن نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكانٍ يصلي قائلاً يا أبتاه... فمضى أيضاً ثانية وصلى... فتركهم ومضى ثالثة...).

وجاء في مرقس الإصحاح الأول (35): (وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك) وكما سبق بيانه.

فلمن كان يصلي ويبتهل ومن كان يناجي ويرجو؟؟.

إنه كان يبتهل لله الواحد القهار، وكان قلبه معلق مع الواحد الديان لاإله إلا هو سبحانه.

وقد كان عيسى عليه السلام يوصي أتباعه بعبادة الله وحده لأنه هو الذي يغفر الذنوب ويعطي هذه العطية على قولهم لمن آمن به.

قال في مرقس الإصحاح الحادي عشر (15): (ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضا أبوكم الذي في السماوات زلاتكم وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السماوات أيضا زلاتكم).

أما نحن فنجيب كما جاء في كتابه العهد الجديد من غير تغير أو تبديل.

قال يوحنا في الإصحاح السابع عشر (4): (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع الذي أرسلته).

إزالة اللثام عن ألفاظ وقع فيها الإيهام

لما بان بالنص الظاهر أن نبي الله عيسى رسول من عند الله وجب بيان ما أشكل على النصارى من ألفاظ إنجيلية ظنوها تدل على ألوهية المسيح عليه السلام، ولما نظرنا في أقوى الحجج عندهم من النقول في أمر التأليه وجدناها تقوم على شبه عديدة:

1. أولها ورود بعض الألفاظ التي نصت على لفظ (إله).
2. أو الضمير بقوله (أنا هو) وما شابهها من الألفاظ المشكلة عندهم؛ ونحن إذ نناقشها بألفاظها ونتكلم بلسان حالهم ومقالهم ونرد على هذه الشبه بأسلوبهم؛ فإن ورد لفظ مساير لألفاظهم فإنه في معتقدي غير مراد ونشهد لله بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة وبعد.

إن الناظر في حجج هؤلاء القوم في التدليل على قولهم من نصوص كتبهم يقف على حقيقتين اثنتين.

الأولى: إن هؤلاء القوم يعمدون إلى المشتبه من الألفاظ عندهم ولا ينزلونها على مثيلاتها من الألفاظ المفسرة ليتمكنوا من فهمها؛ بل ولا يعمدون إلى المحكم ليرفعوا الإشكال الوارد في فهم المتشابه؛ فيختلط عليهم المعنى ويذهبون بها مذهباً فاسداً لا أصل له في كتابهم ولا جاءهم من عند الله ولا تكلم به رسوله ونبيه عيسى عليه السلام؛ وإن صح لفظه والظاهر عدم صحته فإنه ليس مراداً فيه تأليه عيسى عليه السلام أو عبادته من دون الله تبارك وتعالى.

الثاني: إنه لما كان الأصل في دعوة جميع الأنبياء تعريف الناس بخالقهم وإلههم ومدبر أمرهم بوضوح تام لا غموض فيه ولا تشويه ولا اختلاط بالألفاظ وحيرة في المعاني واستعجام العقل للنصوص فكان قول الأنبياء عليهم السلام جميعاً (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) عبارة واضح ومقصود بين؛ ودعوة هادفة منهم؛ وذلك كما علمهم الله تبارك وتعالى.

إنك إذا ما نظرت إلى طريقة النصارى في تدليلهم على مذهبهم من كتابهم ورسائلهم؛ ترى فيها الأحجية والكلام الغامض الذي لا يقوم في مثله دليل ولا حجة على من يسمعه؛ وكذا تراهم يعمدون إلى جمع الطلاسم وحل رموزها؛ وجمع المتفرقات المشتبهات وتفسيرها بلا بينة ودليل يظهر مذهبهم في تأليه يسوع؛ وإذا ما نظرت إلى هذا الجهد الكبير منهم والعناء الشديد الذي خلصوا به إلى القول أن عيسى هو الأب والابن والروح القدس وأن هؤلاء الثلاثة واحد وواحدهم هو الثلاثة وأنهم مع تفرقهم مجتمعين ومع اجتماعهم متميزين؛ تراه كلاماً لا يعقله العالمون فكيف بالعامة الذي لا يعرفون!!.

لقد سطر النصارى في التدليل على أن عيسى عليه السلام هو الله كتبا ومناشير عديدة ومن جملة ما سطروا وجمعوا فيه جيوشهم بخيلها ورجلها وكل ما أمكن للتدليل على هذه العقيدة كتابا سموه (برهان يتطلب قرارا) لمؤلفه جوش مكدويل وترجمه قس اسمه منيس فقال في (115) منه: (يسوع يعلن ألوهيته، وقت محاكمته يقول مرقس الرسول عن قصة محاكمة المسيح (أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء فسأله رئيس الكهنة وقال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان

جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ قد سمعتم التجاديف! ما رأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت) (مرقس 14: 61–64).

وقد قال القاضي جينور في كتاب (إساءة محاكمة المسيح): «إن التهمة التي ضد المسيح في السنهدريم كانت التجديف فقد ادِعى المسيح لنفسه قوة فوق الطبيعية» وأشار القاضي إلى يوحنا (10: 33) «جعل نفسه إلها» فقد كانت هذه التهمة ضده!.

ولقد قبل المسيح الاتهام المثلث الذي وجهه إليه الفريسيون أنه لميسا وابن الإنسان وابن الله فكلمة «أنت قلت» هي اصطلاح يوناني معناه نعم.

(متى 26: 64، وقارن ذلك مع «أنا هو» في مرقس 14: 62)... لقد أعلن يسوع أمام قضاته أمر ألوهيته ولم يقلها المشتكون عليه لكنه قالها عن نفسه.

ومع أن كتاب الأناجيل يوردون إجابة المسيح على سؤال رئيس الكهنة بصيغ مختلفة إلا أن جميعها لها نفس المعنى فعبارة أنت قلت «أو أنتم تقولون إني أنا هو» التي تبدو على آذان السامع الآن لم تكن كذلك على أذن اليهودي المعاصر...).

هذه نقول نقلتها بأمانة علمية دون تحريف أو حذف لنص يؤثر على النقل والفكرة وبعد.

فأنت أيها القارئ ترى مقدار استخفاف هؤلاء الناس بعقول متبيعهم ومصدقيهم وتبصر بعينك مقدار تزييفهم للحقائق وتحريفهم لمعاني النقول التي يكتبونها وذلك من وجوه.

أولاً: إن العنوان الظاهر في النص وهو إعلان عيسى ألوهيته لم يندرج تحته أي إعلان لا بالتصريح ولا حتى بالتلميح وإنما غاية ما فيه قوله: (وترون ابن الإنسان عن يمين القوة) وهذا يدل على أنه قد صرح بمراده ظاهرا من أنه ابن الإنسان؛ وأنه عن يمين القوة، ولم يقل أنه الله أو أنه الإله المعبود؛ ولا أنه سيجلس عن يمين نفسه؛ إذ هذا لا يتصوره عقل ولا يقع في واقع، مع العلم بأن النص ظاهر بالمغايرة بين المسيح والقوة التي يجلس عن يمنها ولم يقل أنه هو القوة مما يبين لأصحاب العقول السليمة مراده وتأكيده على تبعيته لله لا أنه الله.

ثانياً: إن الكاتب والمؤلف ومن وافقهم قد استخفوا بعقول النصارى ومن آمن بهم عندما قالوا أن المعنى في (ابن المبارك) والذي سيجلس عن يمين القوة؛ وأنه ابن الإنسان، وأنه الميسا تساوي الله الواحد.

علما بأن النصارى بل والعقلاء في العالم يدركون أنه إذا كان ابن فلا بد من أب والأب والابن متغايران من حيث الوجود والذات والعدد فلا يمكن أن يكون الابن هو الأب ولا الأب هو الابن.

بل لم يقل أنه جالس عن يمين القوة، بل سيجلس؛ وهذا خبر عما سيكون في المستقبل لا بيان واقع الحال، كما وأنه لو كان كل من يجلس عن يمين القوة إلها أو عن يمين عيسى كونه القوة والإله عندهم يكون إلها فإن كل من يختاره الأب أن يجلس عن يمينه إلها كما حكى عيسى للمرأة التي طلبت لأبنائها أن يكونوا عن يمينه فقال لها أن هذا الأمر لله لا له.

إن كان هذا هو المنطق الذي يتكلم به النصارى فهي أعظم كذبة كذبوها على أنفسهم أولاً، ثم على أتباعهم ثانياً، ولا أظن عاقلا يوافق على مثل هذه الهرطقة.

ثالثاً: إن الجهد الكبير الذي عاناه المؤلف بل عاناه جميع الذين يؤمنون بما يسمى الثالوث الأقدس في التدليل على ألوهية المسيح كان جمع شتات العبارات الموهمة وغير الواضحة وغير الموفقة مع أن الواجب في التدليل على مثل هذا الأصل الأصيل والوحدانية الإلهية أن تكون واضحة الدلالة؛ بينة العبارة واضحة المنطوق؛ لا إشكال فيها ولا استنتاج. إذ لا يجوز تنزيل توحيد الله، أو الأقانيم منزلة الألغاز؛ وما سبق ذكره من كلامهم الذي يدل على أن الأمر لا يخرج عن فهم فاهم منهم وتفسير للعبارات بلا بينات ـ على طريقتهم لا على مراد الله ولا وحيه ـ مما يدلك على أن هذا المعتقد دخيل على دعوة نبي الله عيسى عليه السلام؛ بل إن هذا كله مناف لدعوة نبي الله عيسى عليه السلام، إذ لما أراد بيان حقيقة التوحيد لم يحيّر العقول ولا جاء بما تمجه النفوس؛ ولا علمهم لغزا يحتاج إلى تحليل وبحث وتفتيش وتقميش؛ بل أعلنها مدوية بين أتباعه فقال كما في يوحنا الإصحاح السابع عشر (4): (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك).

وقال كما في مرقس: (فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد... فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه إله واحد وليس آخر سواه)؛ وغير ذلك كثير كما ذكر في موضعه.

فانظر هداك الله إلى الحق وأبعد عنك الزيف والشك كيف أن دعوة نبي الله عيسى عليه السلام إلى التوحيد ظاهرة صريحة مليحة قوية

سوية، وقارن بينها وبين دعاة التلثيث وكيف أنهم يحاربون دعوة نبي الله عيسى عليه السلام الظاهرة، ويبطلون نصوص الإنجيل بتوهمات واجتهادات تنسف الدعوة الواضحة التي دلت عليها النصوص البينة الباهرة والتي بينها نبي الله عيسى عليه السلام والحواريون للناس من إظهار التوحيد؛ الذي أفنوا أو قاتهم وأعمارهم في نشره بين الخلق؛ مما يبين أن مخترع الثالثوث كان همه دفن دعوة نبي الله عيسى واستبدال الرسالة الإلهية بعبادات شيطانية.

رابعاً: إن المؤلف والمترجم قد أجمل في النقل وأحال إلى الأصل لغلبة ظنه أن أكثر أتباعه والمؤمنون به لا يرجعون إلى ما أرجعهم؛ ولا يدققون ما حكى لهم ولو أنهم فعلوا لاكتشفوا تزيف المؤلف والمترجم للحقيقة؛ وأنهم قد خدعوا العامة باجتزاء النصوص ومن ذلك لما قال (وأشار إلى يوحنا 10: 33 جعل نفسه إلها).

إنا لما راجعنا وقارنا وقرأنا وجدنا النص على النحو التالي (فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه * أجابهم يسوع أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي سبب أي عمل منها ترجمونني * أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها * أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة * إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله * فالذي قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله).

إن هذا النص يدل على أمور عدة.

أولاً: إن الذين زعموا هذا القول ـ أنه إله ـ هم أعداؤه ليبرروا قتله لا مدحه، وما كان من الخصم ضد الخصم لا يجوز إنزاله منزلة الحجة والبرهان.

ثانياً: يدل النص على أن لفظ الإله كان يطلق عند اليهود على من أطاع الله وسار وفق أمر الله وتبع رسوله وفقا للناموس المنزل على ذلك النبي وهذا ظاهر من قوله: (إنكم آلهة) وقوله: (إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله).

لقد بين هذا اللفظ المذكور أن (الإله) ليس معناه الرب الأعظم والإله المعبود عند اليهود ولا في لغتهم بل يجوز عندهم إطلاقه على المطيع لله، وإلا لكان اليهود كذلك آلهة كما هو ظاهر النص بل إن لفظ (الإله) أطلق لموسى عليه السلام من قبل الله وفق التوراة لا من قبل الناس كما جاء في الخروج (7/ 1) (فقال الرب لموسى أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك).

مما عني أن لفظ (الإله) يطلق كذلك على السيد كما هو ظاهر وسيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله.

ثالثاً: إن عيسى عليه السلام لما رد عليهم قولهم وأجابهم عن شبهتهم لم يوافقهم على ما نسبوه إليه بل قال لهم أني أقول إني ابن الله ولست الله المعبود؛ ولا أقول إني إله كما هو مكتوب عندكم وجائز في شريعتكم من إطلاق هذا اللفظ على المؤمنين بالله ورسوله فقال: (لأني قلت إني ابن الله) وهذا اللفظ سيأتي بيانه من كتاب القوم وتفسيره كما هو مكتوب عندهم إن شاء الله قريبا.

إعلم يا طالب الحق أن لفظ الإله عند أهل الكتاب يطلق على خلق الله من الملائكة؛ والأنبياء والصالحين كذلك وإليك البيان.

أولاً: جاء في سفر الخروج في الباب السابع (فقال الرب لموسى انظر فإني قد جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا) فهل وفق هذا النص يلزم القول والاعتقاد أن نبي الله موسى عليه السلام هو رب وإله!!! أم أن له معنى آخر؛ فما يمكن أن يقال هنا يقال في غيره من المواضع.

ثانياً: جاء في سفر التثنية الإصحاح الأول إطلاق لفظ الرب والإله على الملك الذي قاد بني إسرائيل فقال (30): (الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها...).

وقد جاء مصرحاً بأنه الملك في سفر الخروج في الإصحاح الثالث عشر (21) والرابع عشر (19): (فانطلق ملاك الله الذي كان يسير قدام عسكر إسرائيل ومشى خلفهم وعمود الغمام أيضا معه فتحول من قدام وجوههم إلى ورائهم...).

وفي سفر التثنية في الإصحاح الحادي والثلاثين (3): (فالرب إلهك هو يعبر قدامك...) فهذا كله وما شابهه من الألفاظ أطلقت على الملك وكذا لفظ الرب.

رابعاً: لقد تقدم ما جاء في يوحنا الإصحاح العاشر (33) من قوله: (إنكم آلهة) (إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله).

خامساً: إن لفظ الإله يطلق على أصحاب البطون للتنفير منهم ومن صنيعهم كما في رسالة بولس إلى أهل فليبي (19): (الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم) هكذا هو.

فأنت ترى هداك الله أن كل هذا التصريح من لفظ الإله لم يحظ نبي الله عيسى عليه السلام بواحد منه ثم ترى بعد ذلك وتسمع وتقرأ قول النصارى عيسى يعلن عن ألوهيته؟؟ أليس هذا من العجب العظيم والدعوى بلا بينة ولا برهان من نص وعقل وفطرة سوية!.

أنا في الأب والأب فيّ

قالوا لقد صرح المسيح أنه في الأب والأب فيه ولا يجوز أن يكون هذا إلا باتحاد الذاتين وهو دليل على أنه الله وإلا لما قال هذا الكلام.

الجواب عن هذه الشبهة:

إذا كان مثل هذا اللفظ يستدل به على ألوهية المسيح عليه السلام فإنا نبشركم يا معشر النصارى أنكم جميعا آلهة وفق ما جاء في الإنجيل جاء في يوحنا (10/ 38): (وتؤمنوا أن الأب فيّ وأنا فيه).

وقال وفق يوحنا (15/ 4): (أثبتوا فيّ وأنا فيكم).

وفي الإصحاح (14/ 38) منه: (إني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم).

وقال في يوحنا (17/ 21): (ليكون الجميع واحدا كما أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني * وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد * أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني).

إن هذه النصوص تبين أن كل من آمن بالله والمسيح قد أصبحوا واحدا؛ وعليه فمن أخرج عامة الناس من الاندماج الذاتي والاتحاد الإلهي فما سيقوله في دفع ذلك يقال كذلك في دعوى اندماج الابن في الأب؛ وإلا فإن كل من اتحد في الله والمسيح أخذ طبيعتهما من كل وجه، وما يجاب عنه عن المؤمنين في نفي ألوهيتهم يكون في حق نبي الله عيسى عليه السلام تجاه الله تبارك وتعالى.

قوله: إن الابن والأب واحد على باب وحدة الذات؛ فلو صح هذا المعنى والافتراض لأفسدوا نصوصا عديدة وفق معتقدهم: كما في يوحنا (3/ 16): (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد).

إن هذه الفقرة تبين أن الإبن غير الأب وأن الله أرسل ابنه ولم يرسل نفسه؛ فلو كان الابن هو الأب أو أنه متحد فيه لقال (أرسل نفسه) لكنه لما لم يكن هوهو قال ارسل ابنه، ودل هذا على التمايز بينهما.

وكذلك النصوص التي تدل على التمايز والتباين بين الأب والابن وبين الإبن والإله كثيرة جدا من ذلك كما في لوقا (3/ 21): (ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع، وإذ كان يصلي انفتحت السماء * ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت).

إن هذا النص يبين أن هناك يسوع الابن الذي هو في الأرض يعتمد؛ الثانية الروح القدس الذي جاء على شكل حمامة وهو بين السماء والأرض وهو ليس الابن يقينا بالنص والعقل والواقع وكذلك ليس هو الأب، الثالث: الأب الذي سمع صوته وهو يتكلم عن الابن دل على أنه ليس هو الابن؛ مما دل على تمايز الثلاثة وليس اتحادها فيكون القول (الأب: وهو الإله المعبود الإبن: هو الرسول والنبي؛ الروح القدس: هو الملاك الذي ينقل الوحي من الأب إلى الابن).

أنا والأب واحد

قالوا قال المسيح أنا والأب واحد وهذا دليل على أنهما متحدان لا مفترقان وأنهما ذات واحدة غير متعددة وقد صرح بذلك في يوحنا الإصحاح العاشر (30) فقال: (أنا والأب واحد).

قلت: الجواب على هذا من وجهين:

الأول: إن الرد على هذه الشبهة كالرد على الشبهة الأولى وثمرتها أن يكون النصارى جميعهم على هذا المعنى الذي نسبوه إلى عيسى عليه السلام في الله وهم بالنتيجة آلهة مثل عيسى عليه السلام لأن ما قاله عيسى على قولهم لنفسه ولله وأتباعه ففي يوحنا الباب السابع عشر (21): (ليكون الجميع واحد كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني * وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا واحد أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني).

وفي الإصحاح الخامس عشر (4): (أثبتوا فيّ وأنا فيكم).

وفي الإصحاح الرابع عشر (20): (اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم).

الوجه الثاني: إنه لا يجوز أن يجتمع في الله ذاتين متضادتين أحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية لأن الذات اللاهوتية تامة كاملة والذات الناسوتية ناقصة يعتريها العجز والعوز والآفات؛ فإن قيل إن الذات الناسوتية ارتقت حتى بلغت ذروة الكمال بسبب الاتحاد باللاهوت.

قلنا: مهما علا الناسوت في الكمال فإنه لا يرقى بحال إلى اللاهوت لعوار الناسوت ووهائه؛ وكمال اللاهوت؛ ولا ينفي هذا الأصل ويعارضه إلا مجادل بهوى وهو في ضلال مبين.

إن الناظر في فقرة (أنا في الأب والأب فيّ) يرى أنه قد ما يميز بينه وبين الأب كما وأنه لم يقل أنا الأب ولا الأب أنا مما يعزز ما ذكرناه سابقاً. وبهذا كله يرفع الإشكال عن هذه الفقرة المشكلة عند أصحابها.

إطلاق لفظ الرب على عيسى عليه السلام

لقد جاء لفظ الرب في العهد القديم والجديد على معنين؛ معنى يطلق على الله مالك السماوات والأرض الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ومعنى آخر يطلق على السيد والنبي والمعلم؛ وفي كلا الموضعين يدل على المقصود أحد أمرين؛ إما لفظ النص الصريح؛ أو دلالة سياق اللفظ وكلام المتحدث كما جاء في المزامير (110/ 1): (قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك).

وقد فسر هذا في النسخة العربية: (وقال الرب لسيدي الملك اجلس عن يميني حتى اجعل أعدائك موطئاً لقدميك).

وفي النسخة الكاثوليكية: (قال الرب لسيدي اجلس عن يميني حتى اجعل أعدائك موطئاً لقدميك).

وجاء في إنجيل متى (22/ 44): (قال الرب لربيٍّ اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك).

وجاء في لوقا (20/ 42): (وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي اجلس عن يميني).

وجاء في مرقس (12/ 36): (لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك).

وفي النسخة المشتركة: (وداود نفسه قال بوحي من الروح القدس: قال الرب لربي).

وجاء في متى (7/ 22): (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يارب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك صنعنا قوات كثيرة).

قلت: إن هذا النص يظهر معناه من عموم سياقه إذ قال قبل ذلك كما في متى (7/ 21): (ليس كل من يقول لي يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات * كثيرون سيقولون لي... * فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط إذهبوا عني يا فاعلي الإثم).

قلت: فأنت ترى أن غاية مقصد نبي الله عيسى عليه السلام تحقيق مرضاة الأب السماوي؛ صاحب المشيئة المطلقة، أما قولهم ليسوع يارب أي يا معلم ويا سيد وغيرها مما يناسب مقام نبوته.

واعلم أنه ليس كل لفظ (رب) المذكور في الإنجيل يدل على أن المقصود به الإله؛ وقد فسر العهد الجديد ذلك لما أطلق لفظ الرب على نبي الله عيسى عليه السلام كما جاء في يوحنا في (1/ 38): (فالتفت إليهما يسوع فقال لهما ماذا تطلبان * فقالا ربي الذي تفسيره يا معلم).

وعلى ذلك يفسر لفظ الرب وفق متى (7/ 21): (ليس كل من قال لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات).

إن هذا النص يدل على أن معنى كلمة الرب هنا (نبي ومعلم ومبين) لكل ما يحب الله تبارك وتعالى والذي يجب على الخلق عبادته وطاعته والسير وفق مشيئته وإرادته وتحصيل مرضاته.

إطلاق لفظ الابن على عيسى عليه السلام

إن إطلاق لفظ الابن على عيسى عليه السلام لا يلزم منه البنوة الحقيقية النسبية بل البنوة المعنوية، كما أن لفظ الابن مغاير للفظ الأب والروح القدس، إذ كل واحد منهما لا يدل على معنى الآخر ومساواته فالابن ليس هو الأب ولا الروح القدس هو الأب ولا الأب هو الابن.

وقد جاء بيان معنى البنوة في كتب النصارى على ما أسلفت من الطاعة لله تبارك وتعالى والسير وفق مشيئته والعمل بوحيه واتباع رسله؛ وذلك كما جاء في متّى (5/ 40): (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون * وأما أنا فأقول أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم... لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات).

وجاء في يوحنا الإصحاح (3/ 9): (كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيهولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله بهذا أولاد الله ظاهرون) وقال في الإصحاح الرابع: (وكل من يحب فقد ولد من الله).

وقال في الرسالة الرومية الإصحاح الثامن (14): (لأن الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله).

فهذه النصوص تبين لكل ذي لب أن البنوة في هذه الكتب المجموعة تطلق على كل من أطاع الله تعالى؛ وقد فسر هذا المعنى في رسالة بولس إلى أهل غلاطية (26): (لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع).

بل إن لفظ الابن البكر يطلق على الأنبياء كما في سفر الخروج (4/ 22): (وتقول له هذا ما يقول ابني بكري إسرائيل).

... الإيجاز يتضح لك يا صاحب الإنصاف والحاكم على الحجج بلا إجحاف أن كل شبة في تأليه نبي الله عيسى عليه السلام لم تكن إلا عهنا منفوشا وسرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

وعليه فلا ترى في كتب النصارى كلمة واحدة قالها نبي الله عيسى عليه السلام توهم أو تدعو أنه الإله المعبود، ولا قال أو أمر بصرف العبادة له ولا عبده أحد من أتباعه في زمانه، ولا قال أنه خالق السماوات والأرض، ولا قال أنه المتصرف في الخلق والتدبير والإحياء والإماته، لكنك ترى إقراره على نفسه بالعبودية كما سبق البيان وأنه لا يعدو أن يكون عبد الله ورسوله.

أخيراً أقول ما قال لهم يسوع وفق يوحنا (7/ 24): (فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصحر * فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر * وكل من يسمع اقوالي ولا يعمل بها يشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل * فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما).

مختصر اعتقاد أهل الإسلام بنبي الله عيسى عليه السلام

إن الإسلام أخبر أن جميع الأنبياء والرسل عبيد لله تبارك وتعالى؛ وأوجب على أهل التوحيد الإيمان بهم وبما أوحى الله إليهم جملة وتفصيلاً؛ أما بالجملة فمن وجهين

الأول: من حيث العدد والكتب وما فيها من التعاليم.

الثاني: التفصيل بما فيها مما أعلمنا الله تبارك وتعالى به في كتابه وأخبرنا عنه نبيه محمد ﷺ؛ وما طرأ عليها من التغيير والتبديل.

وإن من جملة ما أمرنا الله تبارك وتعالى الإيمان به نبوة نبي الله عيسى عليه وسلم.

من هو رسول الله عيسى عليه السلام

إن عيسى عليه السلام عبد من عباد الله تبارك وتعالى آتاه الله الكتاب؛ قد جعل الله مولده معجزة بقوله (كن) فكان بلا أب في رحم أمه مريم عليها السلام.

وما أن أتت به قومها تحمله بين يديها ورآه الناس حتى اتهموها بعرضها ونسبوه إلى يوسف النجار ـ وقد كذبهم الله تبارك وتعالى كما في كتابه القرآن الكريم وبين أنها البتول الطاهرة وأن الذي بين يديها معجزة الله الظاهرة والرسول المبعوث لبني إسرائيل كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله ـ، فما أن أعلمهم أنه رسول من عند الله انقسم الناس إلى قسمين؛ منهم من جعله كذابا مهرطقا يستحق الموت لتجديفه وافترائه على الله ـ وهم اليهود ـ، ومنهم من آمن به واتبعه على أنه رسول من عند الله تبارك وتعالى؛ إلى أن خلف ذاك الجيل جيل نسب إلى نبي الله عيسى عليه السلام الألوهية، ونسبوا إليه من القول ما لم يقله وادعوا عليه ما لم يأمر به.

إن من سنة الله تبارك وتعالى على أهل التوحيد أن أبان لهم الحق في أمر مريم البتول وولدها نبي الله عيسى عليهما السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 12].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: 21].

إن الآية الأولى قد تناولت ثلاثة أصول:

أولاً: إن مريم ابنة عمران عليها السلام قد أحصنت فرجها وحفظته من كل زلل، وأنها كانت عابدة لله تعالى بعيدة عن كل شبهة وكل ردية.

ثانياً: إن نبي الله عيسى خلق من خلق الله تبارك وتعالى إذ كان بنفث الروح القدس في جيبها؛ فكان نبي الله عيسى.

ثالثاً: إن حمل مريم في ولدها عيسى عليهما السلام كان معجزة لله تبارك وتعالى وتكرمة لمريم عليها السلام.

وقد فصّل الله تبارك وتعالى حكاية حملها في قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: 16-21].

خلق نبي الله عيسى عليه السلام

لقد بشر الله تبارك وتعالى مريم عليها السلام بكلمة منه اسمه المسيح ابن مريم؛ له المنزلة الرفيعة في الدنيا والمكانة العالية في الآخرة؛ يكلم الناس في مهده وأول مولده؛ خارجاً بذلك عن مألوف الناس من عدم كلام من كان في المهد؛ ليكون بذلك إعجازاً وتمهيداً لنبوته ورسالته قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: 45-46].

وقد آتى الله تبارك وتعالى نبيه عيسى عليه السلام البينات والكتاب كما هو حال الأنبياء من قبله وأيده بجبريل عليه السلام معززه بالوحي وناصره بالمعجزات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87].

وبعد هذا التقرير الإلهي وبيان الحق في أمر السيدة مريم ووولدها نبي الله عيسى عليهما السلام توجه الخطاب من الله تبارك وتعالى إلى أهل الكتاب أن لا يقولوا على الله غير الحق؛ وذلك بترك الشرك والكفر والغلو في الدين والبعد عن ترك الحق والتعالي عليه مبينا لهم بطلان دعواهم وفساد قولهم وعظيم افترائهم على الله تبارك وتعالى ونبيه عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: 171].

وقد رد الله تبارك وتعالى دعوى من زعم أن نبي الله عيسى قال عن نفسه أو عن أمه أنهما إلهان أو أنه أمر بعبادته ووالدته مع الله تبارك وتعالى، أو أنه قال لهم أنه الله قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: 116].

ثم خاطب الله تبارك وتعالى أصحاب العقول السوية أن يتفكروا بحقيقة نبي الله عيسى وأنه كسائر خلق الله في كل ما يعرض له من الآفات والأسقام والحاجة البشرية ومصيرهم قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: 75].

فهل يجوز على الرب والإله أن يأكل ويشرب وينام ويبكي ويتضرع ويصلي ويمرض ويصيبه ما يصيب سائر البشر!!!.

كل ذلك جوابه عند أرباب العقول وأصحاب الفطر السوية؛ أن ذلك لا يجوز في حق الله تبارك وتعالى؛ بل إن من خلق الله تبارك وتعالى من رفع الله تبارك وتعالى عنه هذه الآفات والبليات والحاجيات، ألا وهم الملائكة الذي أغناهم الله تعالى عن الأكل والشرب وقضاء الحاجة؛

وأبعد عنهم المرض والسقم والنوم وكثيرا من الأعراض التي تحصل للبشر؛ لكنهم مع كل ذلك هم عباد لله مكرمون.

إننا معشر المسلمين نؤمن أن الله تبارك وتعالى خلق نبيه عيسى كسائر مخلوقاته؛ فمن أنزله منزلة الإله والرب المعبود فقد جاء شيئاً فرياً وأنه من أهل الكفر المحكوم عليه بالخلود في النار لا يخرج منها أبدا؛ إلا إن تاب ورجع عن قوله ذلك واعتقاده ونؤمن أن عيسى عليه السلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأن الله لو أراد إهلاكه وأمه ومن في الأرض جميعاً فلن يقدر أحد أن يدفع عنه شيئاً ولا أن يدفع عن نفسه أقدار الحق كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

إن حقيقة دعوة نبي الله عيسى عليه السلام ما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

هل قتل نبي الله عيسى عليه السلام

إن النصارى يؤمنون أن نبي الله عيسى عليه السلام قد أرسل ليقتل ويصلب، ذلك بأن نبي الله آدم قد أكل من الشجرة؛ فأخرج من الجنة، لكن الخطية لازمته ولم يكن للبشر فكاك من توارث الخطية إلا بأن يقتل الأب الإله ابنه الإله ويسيل دمه ليغفر للبشر خطية أكل أبيهم من الشجرة؛ إذ إنه لم يقدر أن يغفرها له إلا بصلب ابنه على يد اليهود.

هذه هي خلاصة فكرة النصارى عن سبب صلب المسيح الإله وقتله وفق معتقدهم.

أما معتقدنا أهل الإسلام الذي أحكم الله به القول وأبان به الحق ورفع به الغمة عن عامة العقول بقوله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157].

فبين سبحانه أن دعوى الصلب لا تخرج عن التوهم والتخرص وحقيقة الأمر أن الله تبارك وتعالى رفعه إليه؛ ومنع اليهود من الوصول إليه وطهّره من كل الأدعياء والمكذبين قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: 55]؛ ثم بين لنا تبارك وتعالى أن من أهل الكتاب إلا وسيؤمن به قبل موته لما ينزل إلى الأرض، وسيظهر لهم أنه عبد لله ورسوله؛ كما أعلم أتباعه السابقين، وأعلم أتباعه

المعاصرين له كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159].

واعلم أن حكمه بين الناس سيكون بالشريعة الموحى بها لخاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

أتباع عيسى عليه السلام مسلمين

إن أتباع نبي الله عيسى عليه السلام الذين عاصروه وعاشوا فترة من بعده كانوا على التوحيد كما علمهم نبي الله عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: 14].

بين نبي الله آدم وعيسى عليه السلام

إن الله تبارك وتعالى نهانا أن نجتهد من عند أنفسنا بتفضيل الأنبياء بعضهم على بعض؛ لكن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا أنه فضل بعض النبيين على بعض كما في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253].

إن القيام بمقارنة بين نبي الله آدم وعيسى عليهما السلام لا على باب التفاضل بل على باب تنبيه العقول الغافلة إلى أن ميلاد نبي الله عيسى عليه السلام لم يكن وحده معجزا[1]؛ بل إن من خلق الله تعالى من كان كذلك وهذا كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

وهذا فيه تفصيل نذكره على النحو التالي:

1 ـ آدم أول خلق الله من البشر.

إن من المعلوم أن الله تبارك وتعالى أول ما خلق من البشر آدم عليه السلام ومنه كانت الذرية وقد أهبط من الجنة بسبب أكله من الشجرة كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا

(1) واعلم أن كل ما خلقه الله تعالى معجز ومن ذلك خلقه الإنسان لكن المقصود هنا بيان وجه الاتفاق والافتراق بين هاتين المعجزتين هما خلق الله لآدم عليه السلام وخلق الله نبي الله عيسى عليه السلام.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 36-38].

فكانت الذرية منهما، منها الصالحة من أنبياء ومرسلين وأتباع، وطائفة ندت عن التوحيد والحق وعبدت الشيطان وكانت له وليا قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

وقال: في الطائفة الثانية ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60]؛ إن المراد من هذا الإيجاز بيان أن نبي الله آدم عليه السلام هو أول خلق بشري؛ ومنه كانت الذرية؛ وكان خلقه من غير أب ولا أم وكان من تلك السلالة المباركة نبي الله عيسى عليه السلام من جهة أمه، إذ طبيعته البشرية ونموه في رحم أمه ظاهر لا يحتاج إلى كبير تدليل.

فكان الفرق من جهتين:

الأول: أن آدم عليه السلام كان بلا أب ولا أم، أما عيسى فله أم.

الثاني: أن عيسى عليه السلام ينسب لآدم من جهة أمه وآدم ليس له أم ولا أب.

وعليه فإن الأب يفوق الابن ويعلوه؛ والابن تابع في نسبه لأبيه؛ فكان هذا مما الفوارق بين نبي الله آدم وولده نبي الله عيسى عليه السلام.

ومن كان من غير أب ولا أم كان وجوده أعظم إعجازاً وأدعى إلى التعظيم.

2 ـ قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [ص: 75].

إن هذا النص القرآني يبين للعالم أجمع ما خص الله به تبارك وتعالى نبيه آدم عليه السلام عن سائر خلقه بأن خلقه بيده.

إن هذه الفضيلة لم تكن لا لنبي الله عيسى عليه السلام ولا لغيره من الأنبياء والمرسلين؛ ولا لسائر الخلق من الملائكة والبشر والجن أجمعين.

3 ـ سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

إن الله تبارك وتعالى أمر ملائكته ومن يدخل في عمومهم كإبليس قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء: 61].

وغيرها من النصوص التي تبين أن الله تبارك وتعالى قد كرّم آدم بإسجاد الملائكة له، وهذا لم يكن لنبي الله عيسى عليه السلام.

4 ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59].

إن هذا النص القرآني الظاهر يبين:

أ ـ إن نبي عيسى السلام خلق من خلق الله تبارك وتعالى؛ وأنه كان بعد أن لم يكن مثله مثل أبي البشر آدم عليه السلام.

ب ـ إن نبي الله عيسى عليه السلام يجري عليه ما يجري على أبيه آدم وسائر البشر؛ من الجوع والشبع والألم والنوم والسهو والغفلة والمرض؛ وغيرها مما يتعرض له سائر الخلق.

جـ ـ إن أصل ما خلق منه نبي الله عيسى عليه السلام هو أصل ما خلق منه نبي الله آدم أبو البشر عليه السلام؛ ألا وهو التراب كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

د ـ إن نبي الله عيسى عليه السلام خُلِقَ مثلما خُلِقَ نبي الله آدم بقول الله تبارك وتعالى (كن) فكان آدم؛ وقوله لعيسى (كن) فكان عيسى.

لكنك ترى أن نبي الله آدم عليه السلام قد خلق من غير أب ولا أم؛ أما نبي الله عيسى فقد كان له أم، وعليه إن وجود مخلوق من غير أب ولا أم أعظم إعجازاً؛ ممن كان وجوده بأم من غير أب.

فهل يجوز القول أن آدم عليه السلام هو إله لمعجزة وجوده بلا أب ولا أم!!!.

بل إن خلق أمنا حواء أكبر إعجازاً من خلق نبي الله عيسى عليه السلام إذ خلقها الله من ضلع آدم بلا أم؛ وهذا في الإعجاز أعظم من وجود نبي الله عيسى من أم بلا أب.

لقد أجرى الله تبارك وتعالى على يد نبيه عيسى عليه السلام آيات ومعجزات ليبين للناس أنه رسول الله وأنه نبي من عنده أرسله ليعلم الناس التوحيد وعبادة الله الحق سبحانه.

وفي هذا المقام أذكر أعظم ما أجراه على يدي نبيه من المعجزات مبتدء بما جاء في القرآن.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].

وقال: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: 110].

إن الآيات القرآنية تبين أعظم ما جمع الله لنبيه عيسى عليه السلام من المعجزات؛ نذكر تفصيلها وتقسيمها تسهيلاً على القارئ حتى يكون منها على بينة، وأضيف لبيانها من القرآن ما ذكر عند النصارى في

الإنجيل الذي بين أيدينا إن وجد وإلا فإنك سترى أن الله تبارك وتعالى قد بين لنا في القرآن ما لم يتعرض له كتاب النصارى الذي بين أيدينا؛ مما يدل على أن ما جاء في القرآن قد أنصف نبي الله عيسى عليه السلام في كل أموره خلافاً لما ذكر عنه في الأناجيل المتداولة؛ وبيان ذلك:

قال الله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

إن هذا الجزء من الآية يبين أعظم معجزات نبي الله عيسى وهي أن يصور خلقا كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله؛ وفي الآية أمور نجملها فيما يلي:

1 ـ إن نبي الله عيسى لم يعط عموم القدرة على الخلق؛ بل يخلق كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وهذا على مثال سابق عن خلق الله تبارك وتعالى ولم يعط شيئاً آخر من المعجزات كخلق إنسان أو بهيمة أو سمك أو على هيئتها، بل اقتصرت معجزته على خلق كهيئة الطير بإقدار الله له على ذلك.

2ـ واعلم أن لفظ (الخلق) يأتي على معنين:

الأول: الإيجاد من العدم؛ وهذا لم يكن إلا لله تبارك وتعالى.

الثاني: محاكاة الخلق وإيجاد صورة على مثل موجود؛ ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

أي: المصورين إذ إن الله تبارك وتعالى يصور الصور لا على مثال سابق بخلاف كل مصور؛ فما من مصور وإلا وسبق تخيله صورة سابقة

من خلق الله الموجدة أو أصل متصور في العقل أخذ من عالم الوجود؛ وما من مشكّل لهيئة إلا وكان لها مثل يحاكيه في الواقع.

وقد جاء هذا المعنى واضحا في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه[1] أبو زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى أعلاها مصورا يصور قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة، ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطه».

فقلت: يا أبا هريرة أشيء سمعته من رسول الله ﷺ؟

قال: منتهى الحلية.

وكان ما يقوم به نبي الله عيسى عليه السلام من تصوير كهيئة الطير من هذا النوع، وإن القرآن والإنجيل ناطقان بأن عيسى عليه السلام لم يخلق شيئاً من العدم.

بل إن الله تبارك وتعالى هو الذي أخبرنا أنه أجرى على يد نبيه عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

واعلم أن هذه المعجزة لم ترد في الإنجيل الذي يعده النصارى قد حوى أعظم معجزات عيسى عليه السلام.

إن النص المتقدم يبين أن نبي الله عيسى عليه السلام لم يكن يفعل تلك المعجزات من نفسه بل الذي كان يجريها على يديه هو الله تبارك وتعالى؛ وقد جاء معنى هذا الكلام في عدد من النصوص وفق الأناجيل المعتد بها

(1) (5/ 2220).

عند النصارى كما هو ظاهر في متى (11/ 27): (كل شيء قد دفع إليّ من أبي).

وقال في يوحنا (5/ 30): (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً).

وفي النسخة الكاثوليكية: (أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً من عندي).

وقال في يوحنا (5/ 36): (أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمال التي أعطاني الأب لأعملها، ...).

3 ـ إن مما أجرى الله تبارك وتعالى على يد نبيه عيسى عليه السلام من المعجزات إبراء الأكمه والأبرص كما قال الله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾.

وفي هذا المعنى جاء في لوقا (5/ 12): (وإذ كان يسوع في إحدى المدن إذا إنسان يغطي البرص جسمه ما إن رأى يسوع حتى خر على وجهه وتوسل إليه قائلاً يا سيد إن شئت أنت فأنت قادر أن تطهرني * فمد يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر وفي الحال زال عنه البرص).

وفي لوقا (5/ 17): (وفي أحد الأيام كان يعلّم وكان فريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم، وكانت قوة الرب لشفائهم * وإذا برجال يحملون على فراش إنسانا مفلوجاً وكانوا يطلبون أن يدخلوا به ويضعوه أمامه، ولما لم يجدوا من أين يدخلوا به ويضعوه أمامه * ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا على السطح ودلوه مع الفراش من بين الأجر إلى الوسط قدام يسوع * فلما رأى إيمانهم قال له أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك * فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين من

هذا الذي يتكلم بتجاديف من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده * خطاياك، أم أن يقال فشعر يسوع بأفكارهم وأجاب وقال لهم ماذا تفكرون في قلوبكم * أيما أيسر أن يقال مغفورة لك قم وامش * ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج أقول لك قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك * ففي الحال قام أمامهم وحمل ما كان مضطجعا عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله).

فهذا كله يبين أن نبي الله عيسى عليه السلام كان يقوم بهذه المعجزات عطية من الله تبارك وتعالى كما هو ظاهر بنص لوقا (5/ 24): (ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض).

وجاء في لوقا (7/ 11): (وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة اسمها نايين يرافقه كثيرون من تلاميذه وجمع عظيم * ولما اقترب من باب المدينة إذا ميت محمول وهو ابن وحيد لأمه التي كانت أرملة وكان معها جمع كبير من المدينة * فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش فتوقف حاملوه وقال أيها الشاب لك اقول قم * فجلس الميت وبدأ يتكلم فسلمه إلى أمه فاستولى الخوف على الجميع ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه).

وفي نص لوقا الأخير ظهر سبب ظهور المعجزات وهو قول كل من رآها (فاستولى الخوف على الجميع ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه)؛ إذ لم يقل واحد منهم أن هذا هو الإله أو أنه الله، بل أجمع الكل وقالوا بصوت واحد أنه نبي.

4 ـ وقال تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

إن من المعجزات الكبيرة التي أجراها الله تبارك وتعالى على يد نبي الله عيسى عليه السلام إحياء الموتى كما سبق بيانه؛ وقد جاء هذا في الإنجيل الذي بين أيدينا؛ من ذلك وجاء في لوقا (8/ 40): (وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك، لا تتعب المعلم * فسمع يسوع وأجابه قائلا لا تخف، آمن فقط فهي تشفى * فلما جاء إلى البيت لم يدع أحدا يدخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها * وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون، فقال لا تبكوا، لم تمت لكنها نائمة * فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت * فأخرج الجميع خارجا وأمسك بيدها ونادى قائلا يا صبية قومي * فرجعت روحها وقامت في الحال، فأمر أن تعطى لتأكل * فبهت والدها، فأوصاهما أن لا يقولا لأحد عما كان).

وجاء في يوحنا (11/ 38-43): (فانزعج يسوع أيضاً نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر * قال يسوع ارفعوا الحجر، قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لأن له أربعة ايام * قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله * فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي * وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني * ولماقال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع حلوة ودعوه يذهب).

إن هذا النص يبين بكل وضوح لا إشكال فيه أن نبي الله عيسى عليه السلام كان يتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء والرجاء ليجري على يديه

المعجزة التي تبين أنه مرسل من عند الله؛ ذلك ليعظّم الناس الله تعالى ويشهدوا لنبيه عيسى عليه السلام بالرسالة.

جاء في لوقا (7/ 11-15): (وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير * فلما اقترب من باب المدينة إذ ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة * فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي * ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون؛ فقال أيها الشاب لك أقول قم * فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه * فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه).

فأنت ترى أن بعد كل معجزة إحياء الموتى يشهد الناس له كما يشهد لنفسه أنه نبي ورسول من عند الله تبارك وتعالى لا غير.

ولكن هل نبي الله عيسى عليه السلام هو وحده الذي أحيا أمواتا كما في معتقد النصارى ووفق ما ورد في إنجيلهم؟.

الجواب: إن هناك من أحيا الموتى غير نبي الله عيسى بناء على قول النصارى في إنجيلهم كما في الملوك الثاني (4/ 32): (ودخل اليشع البيت وإذ بالصبي ميت ومضطجع على سريره * فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب * ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينه على عينه ويديه على يديه وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه).

بل إن الملوك الثاني (13/ 20-21) يحدثنا أن عظام اليشع أحيت ميتا لما لمسته فقال: (ومات اليشع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض

عند دخول السنة * وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه).

بل إن اليشع قد أحيا جيشا بناء على قول العهد القديم كما في الإصحاح (37/ 7-10): (فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظمة إلى عظمة * وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح * فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا * فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً).

إن هذه النصوص تبين أن مثل هذه المعجزة كانت معلومة عن أهل الكتاب بها أجراه الله على أيدي الأنبياء ليؤمنوا برسالاتهم.

5 ـ وقال الله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

قلت: إن هذه من المعجزات الظاهرة لنبي الله عيسى عليه السلام، إذ كان بها يحاكي عامة الناس بكل مستوياتهم؛ مدللا على نبوته ورسالته بإعلامهم مطعمهم ومدخراتهم في بيوتهم.

الركن الثالث

نداء المسيح عليه السلام بمبعث النبي محمد ﷺ

لقد كان ديدن الأنبياء البشارة بنبينا محمد ﷺ كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

إن الغرض من ذكر هذا النص بيان توارث الأنبياء البشارة بمن يخلفهم في النبوة؛ وقد أخذ الله تبارك وتعالى من كل نبي الميثاق أن إذا بعث النبي محمد ﷺ في عصره أن يؤمن به وينصره. وآخر الانبياء الذين بشروا بالنبي محمد ﷺ نبي الله عيسى عليه السلام.

أما بشارة نبي الله عيسى بمحمد ﷺ كما أخبرنا الله تبارك وتعالى في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6].

وقد جاء خبره ونعته في التورة والإنجيل كما قال الله تبارك وتعالى في موضعين من كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وفي قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: 29].

واعلم أيها المنصف أن هذا المذكور في كتاب الله تبارك وتعالى عن النبوءة بمعث نبينا محمد ﷺ ما زالت آثار نور البشارة فيه بينة ظاهرة في العهدين القديم والجديد؛ مع كثرة تغيير معالم البشارة في العهدين من قبل العابثين.

لقد أحصي في العهدين مئة بشارة كلها تبين البشارة بمبعث خاتم النبي محمد ﷺ أبين أظهرها وأوضحها وما يحصل به المقصود من دعوة نبي الله عيسى لأمته من بني إسرائيل الإيمان بالنبي محمد ﷺ إذا ما بعث؛ وإليك البيان.

البشارة بالنبي محمد ﷺ في العهدين

لقد تواترت أهل الكتاب البشارة بالنبي ﷺ بالاسم والوصف على السواء؛ بيد أن أيدي العابثين في الكتابين طالت من جملت ما طالت النبوات الظاهرة والبشارات البينة بالنبي ﷺ؛ لكن مع كل ذلك بقي كثير من البشارات التي فيها الدعوة للإيمان بخاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ عند مبعثه؛ ولنبدأ بها جاء في أشعيا (35/ 5): (حينئذ تتفتح عيون العمي وآذان الصم تتفتح * حينئذ يقفز الأعرج كالإبل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر * ويصير السراب أجما والمعطشة ينابيع ماء؛ في مسكن الذئاب في مربضها دار للقصب والبردي * وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة؛ لا يعبر فيها نجس بل هي لهم؛ من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل).

والذي يفسر ذلك ما جاء في أشعيا (42/ 1-4): (هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي به سرت به نفسي؛ وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم * لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته * قصفة مرضوضة لا قصف وفتيلة خامدة لا يطفيء؛ إلى الأمان يخرج الحق * لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنظر الجزائر شريعته)(1).

(1) هنا لا بد من التنبيه على أمرين:

الأول: إن هذا النص قد نقله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الجواب الصحيح (5/ 157) من التوراة التي كانت بين يديه؛ ولما قارنا النص المنقول والموجود الآن بين أيدينا وجدنا فيه تغير تراه إذا ما قارنت بينهما وإليك أيها المنصف ما نقله شيخ الإسلام من اشعيا الذي كان بين يديه في ذلك العصر (عبدي الذي سرت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته بالأسواق، يفتح العيون العور والآذان الصم ويحي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطي أحدا، يحمد الله حمدا جديدا، يأتي من أقصى الأرض وتفرح البرية وسكانها، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى=

=الهوى مشقح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى، أثر سلطانه على كتفيه).

الثاني: إن هذا النص جاء في متى (12/ 14-21): (فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه * فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا * وأوصاهم أن لا يظهروه * لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل * هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق * لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته... وعلى اسمه يكون رجاء الأمم).

قلت: إن النصارى ينزلون هذه الرواية على، والنبوة على عيسى عليه السلام.

والجواب: إننا لما رجعنا إلى إشعياء (42/ 1) هوذا عبدي الذي أعضده...).

وهذا النص الذي في أشعياء لا ينطبق على المسيح عليه السلام من وجوه عدة:

الوجه الأول: أن النصار يعتقدون أن الإبن إله متجسد، لكن النص صرح أن المرسل هو عبد من عباد الله تبارك وتعالى وعليه لا يصلح تطبيق النص عليه.

الوجه الثاني: قوله (الذي أعضده) فيه دلالة على نصرة الله لهذا النبي، ولما كان يسوع على قول النصارى أنه هو الله لا يصلح أن ينصر نفسه ويقوي نفسه.

كما وأن هذا النص كسائر النصوص يدل على التمايز بين الله وعبده. وهذا يخالف معتقد النصارى الذين يؤلهون المسيح.

الوجه الثالث: قوله في متى: (وعلى اسمه يكون رجاء الأمم): وهذا يعني أنه مبعوث لعموم الأمم. لكن هذا لا ينطبق على نبي الله عيسى عليه السلام وفق تصريح الانجيل كما في متى (15/ 24): (فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة).

وفي النسخة العربية المشتركة: (فأجابهم يسوع ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل).

وكانت وصيته لتلاميذه هكذا وفق متى (10/ 6): (هؤلاء الاثنا عشر رسولا أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا؛ إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلا * بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

وجاء في النسخة العربية المشتركة: (وأرسل يسوع هؤلاء التلاميذ الاثنى عشر وأوصاهم قال: لا تقصدوا أرضا وثنية ولا تدخلوا مدينة سامرية).

وفي نسخة الحياة: (أرسلهم يسوع وقد أو صلهم قائلا لا تسلكوا طريقا إلى الأمم ولا تدخلوا مدينة سامرية).

مما يدل على أن نبي الله عيسى عليه السلام لم يبعث إلى الأمم بل بعث لبني إسرائيل دون غيرهم.

أما نبينا ﷺ قد اجتمعت فيه الأوصاف كلها؛ وهي تتحدث عنه.

وجاء في سفر التثنية (33/ 2): (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم).

إن هذا النص ينبيء عن بعثة نبينا محمد ﷺ الذي ابتدأ من جبل فاران، وفاران هي الموطن الذي نشأ فيه إسماعيل عليه السلام كما في سفر التكوين (21/ 20-21): (وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس * وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر).

وحتى نفهم أين هي فاران هذه نذكر البشارة الأخرى في أشعيا (21/ 13-17): (وحي من جهة بلاد في بلاد العرب في الوعر تبيتين يا قوافل الددانيين * هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه * فإنهم من وراء السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب * فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار * وبقية عدد قسي أبطال قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل تكلم).

قلت: إن في هذا النص المذكور أمور كثيرة نجملها في التالي ثم نعمد إلى مقصدنا في بيان (قيدار).

الأول: خروج وحي ونبوة من جهة العرب.

الثانية: إن هذه النبوة في بلاد العرب في الوعر في الصحراء حيث كان نبينا محمد ﷺ يعيش.

الثالثة: الكلام عن هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

الرابعة: الكلام عن معركة بدر وفناء سادة كفار قريش ورجالهم تقل.

وحتى نعرف المراد بـ (فاران) وجب علينا أخذ النص من الموضع السابق وهو (وفي سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية قسي أبطال قيدار تقل).

إذا ما نظرت لتعرف من هم (قيدار) و(أبناء قيدار) ننظر إلى ما جاء في سفر التكوين (25/ 13): (وهذه مواليد إسماعيل ابن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم * وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم، نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل وميسام...).

وعليه فإن بني قيدار عاشوا بين العرب في الجزيرة حيث كانت مكة المكرمة كما بين النص السابق (وحي في أرض العرب).

ولا يعرف ذكر لهم ولنسبهم إلا من جهة العرب وأرض العرب في مكة المكرمة حيث سكن نبي الله إبراهيم بزوجه هاجر وولده إسماعيل عليهم السلام، فدل ذلك كله على أن فاران التي عاش فيها إسماعيل عليه السلام هي أرض العرب كما بينا، فإن علم ذلك علمنا أن قوله (وتلألأ من جبل فاران) هي جبال مكة لا غيرها، وفق ما جاء في العهد القديم.

وقد جاء ذكر موطن مبعث النبي ﷺ من مكة في مزامير: (84/ 5-7): (طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم * عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا، أيضا ببركات يغطون مورة * يذهبون من قوة إلى قوة).

ووادي البكاء هذا في مكة وهو اسم موضع كما هو في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96].

واعلم أنه لما كتب هذا المزمور لم يكن على وجه الأرض هيكلاً مقدساً غير هذا أي (مكة) التي رفع قواعدها نبي الله إبراهيم عليه السلام.

وقد جاء شيء من التفصيل في وصف ما يجبى إليها ومن يقصدها من الناس ما جاء في سفر أشعيا (60/ 10): (يعمر الغرباء أسوارك ويخدمك ملوكهم لأني في غضبي عاقبتك وفي رضاي رحمتك.

تفتح أبوابك دائماً ولا توصد ليل نهار ليحمل إليك الناس ثروة الأمم وفي موكب يساق إليك ملوكهم، لأن الأمة والمملكة التي لا تخضع لك تهلك، وهذه الشعوب تتعرض للخراب الساحق).

وقال في نفس السفر والعدد: (وبعد أن كنت مهجورة ممقوتة لا يعبر بك أحد سأجعلك بهية إلى الأبد؛ وفرح كل الأجيال).

وقد جاء وصف النبي الذي سيظهر في مكة أنه أمي لا يعرف الكتابة وأنه سيوحى له بآخر الكتب حيث لم ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ جاء في أشعياء (29/ 11) (وصارت لكم رؤيا مثل الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم * أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة).

وجاء في النسخة العربية المشتركة (29/ 11): (ثم تناولونه لمن لا يعرف القراءة وتقولون له إقرأ هذا فيجيب لا أعرف القراءة).

وجاء في النسخة الكاثوليكية (29/ 12): (ثم يناول الكتاب لمن لا يعرف القراءة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف القراءة).

وقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه أن النبي محمد ﷺ أمي لا يقرأ ولا يحسب ولا يكتب كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وأما الحدث فقد كان كله مع النبي ﷺ كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد الليالي ذوات العدد ـ قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك؛ ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق؛ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد؛ ثم أرسلني فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة؛ ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾؛ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه؛ حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة: وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم؛ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة؛ وكان امرأ تنصر في الجاهلية؛ وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب؛ وكان شيخا كبيرا قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى؛ يا ليتني فيها جذع؛ ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم!.

قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي؛ وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

ـ وقد جاء في سفر التثنية ما أوحى الله تبارك وتعالى لنبيه ألا وهو كلامه الذي يتلوه الموحدون إلى أبد الدهر ـ ماشاء الله ـ كما جاء في سفر التثنية

(18/ 15–20): (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون * حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت * قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا * أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به * ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه).

إن هذا فيه بيان لمعجزة النبي محمد ﷺ الخالدة وهي القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين.

وأختم من العهد القديم بما وصف به آخر الأنبياء والمرسلين أنه رئيس العالم الأبدي وأنه يحمل خاتم الرياسة على كتفه كما جاء في أشعيا (9/ 6–7): (لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام).

وهذا يبينه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة؛ ثم توضأ فشربت من وضوئه؛ ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة.

واعلم أن هناك عدد من النصوص قد حذفت من الكتب؛ ذكرها أهل العلم من المسلمين ونقلوها من مواطنها في العهد القديم؛ نذكرها لما في ذلك من تعزيز لما سبق بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (5/ 239): (قالوا وقال داود في مزمورَ له: إن ربنا عظيم محمود جداً).

وفي ترجمته: (إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً).

وقال (5/ 257): (قالوا وقال أشعيا النبي معلنا باسم رسول الله ﷺ: (إني جعلت أمرك يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد).

وقال (5/ 260): (قالوا: وقال أشعيا في وصف أمة محمد ﷺ (ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قيدار يسبحون؛ ومن رؤوس الجبال ينادون؛ هم الذين يجعلون لله الكرامة؛ ويسبحونه في البر والبحر).

وقال (5/ 267): (قالوا وقال حبقوق: إن الله جاء من التيمن والقدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده؛ شعاع منظره مثل النور؛ يحوط بلاده بعزه؛ تسير المنايا أمامه؛ وتصحب سباع الطير أجناده؛ قام فمسح الأرض؛ فتضعضعت له الجبال القديمة؛ وانخفضت الروابي وتزعزت ستور أهل مدين).

وقال (5/ 268): (زجرك في الأنهار وإقدام صوامك في البحار ركبت الخيول وعلوت مراكب الإيفاد وستنزع في قسيك أعراقاً ونزعا وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت؛ وانحرف عنك شؤبوب السيل؛ وتغيرت المهاوي تغيرا ورعبا؛ رفعت أيدها وجلا وخوفا وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك

وتدوّخ الأرض غضبا وتدوس الأمم زجرا لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ تراث يبائك).

وقال دانيا: (ستنزع في قسيك إغراقاً وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء).

واعلم وفقك الله للحق أني قد اقتصرت على بعض البشارات التي نقلها أهل العلم في كتبهم، والتي ذكر فيها اسم نبينا محمد ﷺ صريحاً لا تعريضاً أو وصفاً، وتركت الكثير من البشارات التي تدل على نبوته ﷺ مما تم تبديله وتغييره.

البشارة بالنبي محمد ﷺ وفق الإنجيل

لقد بشر نبي الله عيسى عليه السلام بنبينا محمد ﷺ وبعثته في مواطن عدة وإليك البيان وفقا لما بقي من نبوءات في العهد الجديد الذي يطلق عليه اسم الإنجيل؛ قال يوحنا في (14/ 15): (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي * وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد * روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم).

وقال (14/ 25): (وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم).

وقال في يوحنا (15/ 26): (ومتى جاء المعزي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي * وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء).

وقال في يوحنا (16/ 5): (وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي * لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم * لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذاك الذي يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة * أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي * وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضا * وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قدين دين).

وجاء في أعمال الرسل (3/ 22): (فإن موسى قال للآباء إن نبيا مثلي سيقيم لك الرب إلهكم من إخوانكم له تسمعون في كل ما يكلمكم

به * ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب * وجميع الأنبياء من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام * أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آبائنا قائلا لإبراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض * وإليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره).

إن من الإنصاف الوقوف على هذا النص وبيان ما فيه من معان لا تخفى على متمعن نذكر بعضا منها لتسهيل الوصول إلى غوامض ما قد يغيب عن القارئ.

أولا: قوله: (إن نبياً مثلي سيقيم الرب إلهك).

لم يأت بعد نبي الله موسى نبياً مثله إلا نبينا محمد ﷺ وذلك يظهر بأمور:

1 ـ إن نبي الله موسى عليه السلام من نسل إبراهيم عليه السلام.

وكذلك نبي الله محمد ﷺ من نسل نبي الله إبراهيم.

أما نبي الله عيسى عليه السلام فإنه وإن كان من بني إسرائيل عليه السلام لكنه لا أب له كما هو متفق عليه عند المسلمين والنصارى. والنص السابق يذكر النسب من جهة الأب.

2 ـ إن نبي الله موسى عليه السلام له أب وأم.

وكذلك نبينا محمد ﷺ له أب وأم.

أما نبي الله عيسى عليه السلام فليس له أب.

3 ـ إن نبي الله عيسى عليه السلام أرسل بعد الأربعين.

وكذا نبي الله محمد ﷺ كان مبعثه بعد بلوغه الأربعين.

نبي الله عيسى عليه السلام رفع وكان في الثلاثين من عمره ولم يبلغ الأربعين، بل كانت نبوته وبعثته قبل ذلك.

هذا كله فيه اتفاق في المثليه بين نبي الله موسى ونبي الله محمد عليهما الصلاة والسلام بخلاف نبي الله عيسى عليه السلام.

4 ـ إن نبي الله موسى عليه السلام رسول من عند الله.

وكذ نبينا محمد ﷺ رسول من عند الله.

أما نبي الله عيسى عليه السلام؛ فإن النصارى من بعده زعموا أنه الله، تعالى الله عن قولهم، فخالفهما في المثليه.

5 ـ إن نبي الله موسى من نسل إبراهيم عليه السلام وكذا نبينا محمد ﷺ؛ وهذا يعني أنهم أخوة في النسب؛ بخلاف نبي الله عيسى عليه السلام وهذا تحقيقا لما في النص قوله: (من إخوتكم).

أما نبي الله عيسى عليه السلام فهو من قومهم ومن بني إسرائيل؛ لهذا جاء في النص قائلا لإبراهيم

(وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض).

6 ـ إن طبيعة نبي الله موسى عليه السلام طبيعة بشرية وكذا نبي الله محمدﷺ.

أما عيسى عليه السلام وفق قول النصارى فيه الطبيعة اللاهوتية المتجسدة في الطبيعة البشرية، مما يبين أن هذه النبوءة ليست فيه والنص

ظاهر قوله: (لهذا أقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فيمه فيخاطبهم بكل ما آمره به).

7 ـ إن الدليل على أن هذا النص لا علاقة له بنبي الله عيسى عليه السلام ما جاء في ختامه: (إليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم).

وفي النسخة الكاثوليكية: (فمن أجلكم أولا أقام الله عبده وأرسله ليبارككم؛ فيتوب كل منكم عن سيئاته).

أقول إن هذا النص يبين أن عيسى عليه السلام أرسل أولا ليمهد الطريق أمام سيد الأنبياء عليه السلام ورسول رب العالمين للخلق أجمعين، ولو كان يسوع هو المقصود لقال (وهذا الذي ذكرنا أوصافه هو يسوع)؛ ثم لم يذكر (أولا)؛ مما دل على أن من جاء بعده هو المعني بالنبوءة.

وكل الذي ذكرناه ـ إلا ما كان على باب التنزل مع النصارى في معتقدهم ـ موافق لما في التثنية (18/ 15): (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون... * قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به * ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه).

وجاء في رسالة بطرس الأولى (4/ 17) وفق النسخة الكاثوليكية: (فقد كان الوقت الذي فيه تبتديء الدينونة ببيت الله، فإذا بدأت بنا فما تكون عاقبة الذين أعرضوا عن بشارة الله).

ومعنى ذلك: أن نبي الله عيسى عليه السلام قد بشر بنبينا محمد ﷺ وأن هذه البشارة مذكورة في الإنجيل، بأن الحكم والشريعة ستكون في بيت الله؛ التي هي مكة المكرمة.

من النصوص التي نقلها أهل العلم وتبدل لفظها أو حذفت

قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله في الجواب الصحيح (5/ 284):

(وقال يوحنا الإنجيلي قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله (أن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء).

وقال أيضاً: (إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله روح الحق الذي من أبي هو يشهد لي قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه).

وقال أيضاً: (إن خيرا لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم...).

الخاتمة

إن إظهار حقيقة دعوة نبي الله عيسى عليه السلام إلى التوحيد من أهم الواجبات الشرعية، وكذا بيان بشارته بالنبي محمد ﷺ؛ وذلك بأن هذين الأصلين إن فسدا أو فسد أحدهما فسد إيمان كل من بلغه هذا البيان؛ فوجب علينا أن نبين لك يا من آمن بنبي الله عيسى عليه السلام أن دعوته عليه السلام طوال مقامه في قومه إلى توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته وأن التوحيد هو الأصل الذي قام عليه الدين، وأن كل من خرج عن هذه الدعوة خرج على الناموس الرباني الذي بشر به عيسى عليه السلام ودعى الناس إليه لذا قال في متى (21/7): (ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات * كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة * فحينئذ اصرخ لهم إني لم أعرفكم قط إذهبوا عني يا فاعلي الإثم).

ومن هذا الموطن ندعوا كل من لم يؤمن بوحدانية الله تبارك وتعالى وبنبوة محمد ﷺ أن يؤمن بذلك لينال الإيمان بالله ونبيه عيسى عليه السلام وبمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب:

الدكتور: شاكر بن توفيق العاروري

15/جمادي الثانية 1430هـ.

2009/6/9م

فهرس المحتويات